الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

تجليات الثّقافة الصحراوية في رواية "قلب الإسباني" لـ "جميلة طلباوي"

مذكرة للاستكمال متطلبات شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
فاطمة الزهراء رابحي.

إشراف الأستاذ(ة):
أ. د/ فيروز رشام.

لجنة المناقشة:

1- أ.د/ كريمة بوعامر	جامعة البويرة	رئيسا
2-أ.د/ رشام فيروز	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3-أ.د لعريبي عواج	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

إهداء

الحمد لله بداية ونهاية

أهدي عملي هذا إلى نفسي أولا، رغم الظروف استطاعت الوصول.

ثم إلى منبع القوة والنجاح أمي وأبي

إلى إخوتي، وكل من له يد في تشجيعي.

فاطمة الزهراء

تعدّ الجزائر من أكبر البلدان الإفريقية مساحة، إلى درجة أن شمالها مختلف عن جنوبها في أمور كثيرة، من ظروف بيئية إلى طريقة العيش، وكذا لهجات سكانها...إلخ، ونظرا إلى ماضيها العريق وإلى الحضارات التي مرّت عليها، فإن التنوع الثقافي فيها غزير ومختلف، وهو يتجلى في العديد من الفنون، منها الأدب. وقد اخترت البحث عن تجليات الثقافة الصحراوية في رواية جزائرية، تتحدث عن الصحراء وهي رواية "قلب الإسباني" للكاتبة "جميلة طلباوي".

والثقافة من الأمور التي وجب التطرق إليها، كونها مظهرا من مظاهر الأمم والشعوب، ومصدر اعتزاز بحضارتها، وقد انتقيت صحراء الجزائر، لتكون محطّ هذه الدّراسة، لما تتميّز به من ثقافة مادية ولامادية متنوعة ومتعددة، وكانت رواية "قلب الإسباني" هي الأنسب من أجل هذا البحث، أين تمّ الحديث عن الثقافة الصحراوية فيها بشكل واسع.ويعود السبب الرئيسي وراء اختياري لهكذا موضوع، أولا إلى الرغبة الذاتية في النظر عن كثب إلى الثقافة الصحراوية، ثم من أجل الكشف عن كيفة تجلي الثقافة في الرواية كونها عنصرا فنيا، ساهم في استعراض التراث، وإبراز الهويّة الجزائريّة والصحراويّة بالخصوص.

وتيسيرا للبحث قسمته الى مدخل و فصلين حيث تناول المدخل مفاهيم عامة حول الثقافة، وجاء الفصل الأول بعنوان تمظهرات الثقافة المادية في الرواية والمتمثلة في كل من المأكولات والمشروبات، اللباس وأدوات الزينة، الصناعات اليدوية التقليدية، والمباني والأماكن، وجاء الفصل الثاني يضم تمظهرات الثقافة اللامادية في الرواية، بعناصر كل من الرّقص والموسيقى، التجمعات والمناسبات، المعتقدات والأساطير، الأمثال الشعبية.

وبخصوص المنهج المتبّع فقد بدا لي أن المنهج الوصفي التحليلي هو الأنسب لهكذا دراسة، خاصة وأن الثقافة الصحراوية بطابعها المادي واللامادي تحتاج وصفا من حيث شكلها

ومظهرها المقدم والمعروض في الرواية، وعن كيفية ممارستها ودلالاتها الظاهرة والخفية. وفيما يتعلق بأهم المراجع التي اعتمدتها أذكر منها كتاب "التراث المادي وغير المادي لمدينة المغيّر" لـ "علي شطي"، والذي جاء فيه حديث عن الثقافة المادية واللامادية الموجودة في الصحراء، إضافة إلى كتاب "التراث الثقافي غير المادي في الجزائر لـ " ڤلاز ويزة" والذي أرشدني إلى فهم عدّة عناصر تخص الثقافة اللامادية إضافة إلى مقالة "دريسي ثاني سلاف" "اللباس التقليدي–الحايك أنموذجا–"، والذي تحدثت فيه الكاتبة عن أبرز الألبسة وكيفية ارتدائها.

من ناحية الصعوبات العلمية التي صادفتها في البحث، فهي تتعلق أساسا بقلّة الدراسات التطبيقية، حول الثقافة الجزائرية خصوصا الصحراوية منها إضافة إلى ضيق الوقت، وقلّة الخبرة العلمية.

وفي الأخير ما يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة "فيروز رشام" عن توجيهاتها، ونصائحها القيّمة، التي كانت سخية في تقديم معلومات ساعدتني في إتمام هذا العمل في الآجال المطلوبة رغم كلّ العقبات كما آمل أن ينال هذا البحث الاستحسان والقبول.

مدخل: مفاهيم عامّة حول الثقافة

1- الثقافة.

2- الثقافة المادية.

3- الثقافة اللامادية.

1- الثقافة

الثقافة وهي من أبرز المصطلحات التي تعددت حولها الآراء لدى العلماء، من حيث ماهيتها، فمنهم من يرى أنّ الثقافة تعبير عن سلوك الإنسان داخل مجتمعه، فيما يرى آخرون أنّها مصطلح يمكن الأخذ به من أجل الحدّ بين المستوى التعليمي والثقافي لدى الأشخاص، وفي هذا الصميم يرى ابن خلدون أنّ الثقافة هي العمران « وقد قدّم ابن خلدون الثقافة في مقدمته الشهيرة على أنها العمران، والذي هو صنع الإنسان»[1]، أي أن الثقافة هي كل ما يشيده الإنسان من مباني وعمارات.

وكثرت التعاريف والمفاهيم حول الثقافة، فمنهم من عرّفها بأنها كل ما تمّ توارثه من أساليب ومهارات وأفكار وقيم ولعل أبرز من أعطى للثقافة مفهومها هذا، هو مالينوفسكي؛ حيث يرى إن الثقافة «تشمل المهارات الموروثة، الأشياء والأساليب، أو العمليات الفنية، والأفكار، والعادات والقيم»[2]، في هذه الحالة وبالأخذ بالتعريفين السابقين يمكن القول عن الثقافة إنها شاملة للعادات والتقاليد والعمارة، والفنون وغيرها من التعابير الإنسانية.

من بين العلماء الذين أسهموا بشكل كبير وفعّال في الحديث عن الثقافة وماهيتها هوّ "مالك بن نبي" والذي عمل على توضيح مصطلح الثقافة أولا، ثم إبراز الجذور والأصول التي تعود إليها الثقافة، فأبان الأفكار التي من خلالها وجدت وتكونت الثقافة بمفهومها ومعناها « فهناك إذن عملية تعريف تبدأ عندما يطلق الاسم على الشيء، وتنمو كلما أخذ الشيء معنى مركبا، أي أنه بعد أن يصبح الشيء اسما، يصبح فكرة ثم مفهوما..»[3].

---

[1] خالد خواني، مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد 4، عدد3، جامعة الوادي، سنة 2021م، ص82.

[2] نفسه، ص82.

[3] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ص22.

إن الأفكار مهمة في رأي مالك بن نبي، لأنه ومن خلالها يتم تركيب مفهوم الثقافة، كون الأفكار تلعب الدور الأساسي في تطور المجتمعات، «إنّ الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معيّن، كما أن مختلف مراحل تطوره، هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة التطور في مجتمع معين»[1]، لأنه وبتطور المجتمع تتشكل الثقافة، فقد ذهب يربطهما بالواقع الاجتماعي المعاش في حقبة زمنية معينة، تفاعل ذلك الواقع بطريقة ما ليوثق في النهاية ثقافة تميز بها ذلك المجتمع ويقول "مالك بن نبي" في هذا الشأن :«ولقد رحّب مجال البحث الاجتماعي في القرن التاسع عشر بتأثر التوسّع، الاستعماري ذاته، ورحّب معه بمفهوم الثقافة»[2].

وقد أرجع مالك بن نبي فكرة الثقافة إلى أوروبا ليقول عنها :« فكرة حديثة جاءت من أوروبا، والكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقرية الأوروبية»[3]. فالثقافة في رأيه من الأفكار التاريخية التي ظهرت في عصر النهضة، عندما لاقت أوروبا ما لاقته من تطور وازدهار في الأعمال الأدبية الجليلة في الفن والفكر.

ومع التطور الحاصل في العالم بدأ التعريف التاريخي للثقافة بالتلاشي، فبعدما كانت الثقافة «مجموعة ثمرات الفكر من ميادين الفن والفلسفة والعلم والقانون...»[4]، أصبح لهما معنى جديد يتناسب مع التطور الراهن، ومن خلال التبادلات الثقافية واكتساب ثقافات جديدة، أصبح مفهوم الثقافة غير ثابت وأكثر صعوبة، ولا يمكن استخلاصه مباشرة، فالثقافة «تتمثل في صورة مجردة ومستخلصة من مواقف وسلوك الإنسان الجماعي ومبسطة في المناهج، والمعايير، والقوالب الفكرية

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص13.

[2] نفسه، ص25.

[3] نفسه، ص29.

[4] نفسه، ص28.

لأفراد الجماعة»[1]، وتنتقل تلك المواقف والسلوكات الثقافية من جيل إلى جيل، ولكنها تتطور لتوافق العصر وتتأقلم مع الواقع.

أما عن "أليام أوجبرن" والذي من خلال مفهومه للثقافة، ساهم في تبيان أنواع الثقافة ومجالاتها، فقد قسم الثقافة إلى جانبين عبّر عنهما بـ « الثقافة المادية Material culture، وعلى الآخر الثقافة المتكيفةAdoptive culture. »[2]، جانب صنف فيه كل ثقافة مادية من أدوات وأشياء ملموسة، وجانب آخر وهو الجانب المعبر عنه بعادات وتقاليد المجتمعات، «فالمجال الأول يضم في رأيه الجانب المادي من الثقافة، أي مجموع الأشياء وأدوات العمل والثمرات التي تخلقها، ويضم المجال الثاني الجانب الاجتماعي كالعقائد والتقاليد والعادات والأفكار واللغة والتعليم، وهذا الجانب الاجتماعي الذي ينعكس في سلوك الأفراد»[3]

ويمكننا القول عن الثقافة إنها سعي من الإنسان من أجل خلق وسائل وأفكار يتعايش بها وواقعه، وكذا تلبية احتياجاته ليتكيف مع ظروف وسطه «فالثقافة تنشأ عن الحياة الاجتماعية، البشرية من خلال سعي الإنسان لابتكار سبل التكيف مع الظروف البيئية ومحاولته بالتالي التحكم بالظروف المحيطة به»[4]

الثقافة أيضا هي نشأة تفاعل واتصال بين أفراد المجتمع، فهي هامة، فبامتلاك المجتمع لثقافة واحدة تتحقق الوحدة والعمل الجماعي لدى الأفراد، وتعمل هي الأخرى على تهذيب سلوك الفرد، كونها تحمل في ثناياها قوانين وأنظمة تؤدي إلى بناء شخصية قوية وملتزمة، كما وتعمل الثقافة على التربية والتعليم، فهي تنتقل جيلا عن جيل، مما يمكن العمليات التربوية في إيصالها

---

[1] خالد خواني، مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها، ص83

[2] مالك بن نبي، ممشكلة الثقافة، ص31.

[3] نفسه، ص31.

[4] خالد خواني، مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها، ص85.

عبر التعلم والتعليم، شرط أن يتوفر عنصر التفاعل والذي تقوم بخلقه الثقافة بذاتها، فهي نتاج للتفاعل الاجتماعي، وتعمل أيضا على التنشيط بتلك العملية التفاعلية، على غرار ما تخلقه في المجتمعات من أخلاق حسنة، لاحتوائها على عادات وتقاليد حسنة وقيم حميدة.

2- الثقافة المادية

يقصد بالثقافة المادية تلك الجوانب الملموسة للثقافة والمتمثلة في أشياء من صنع الإنسان في حقبة زمنية مضت، ولا زالت تلك الصناعات موجودة، والتي تم صنعها لمراعاة الاحتياجات اليومية وكذا متطلبات عيش الإنسان، وتكمن غالبية تلك الصناعات في المباني والعمارات إضافة إلى أواني منزلية وحرف يدوية، وكذا مأكولات وألبسة. «وتتمثل الثقافة المادية في العمارة بشكل عام كالمواقع الأثرية والمدن العتيقة، والمتاحف الافتراضية أو المتاحف بلا حدود خاصة و المباني والمنشآت ومختلف وسائل النقل وأيضا الفنون والآداب وهي ما يطلق عليها بالتراث الأدبي والفني متمثلة في صناعة الملابس، والحلي... والصناعات الحرفية واليدوية»[1].

فالثقافة المادية هي عبارة عن أشياء ترى بالعين، ثم تدشينها وصنعها من طرف الأجداد، وبقيت تلك الصناعات إلى يومنا هذا محافظة على طبيعتها وشكلها طوال الحقبة الزمنية الفائتة، كما أن ما يجعلها مميزة عن غيرها من الصناعات الأخرى، هو شكلها الهندسي والأدوات المستخدمة في صنعها «وأهم ما يميز الثقافة المادية هو أن مكوناتها رغم اختلافها تختص بما لها من شكل أو مظهر فيزيقي أو وجود ملموس ومحسوس كمنتج من صنع الإنسان ، بغض النظر

[1] علي شطي، التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، سنة 2023، ص13.

عن حجمها أو شكلها أو استخدامها أو الهدف منها، وهذا ما يجعلها تشكل الجانب المادي للثقافة»[1].

ويمكن القول أن لكلّ عمل يقوم به الإنسان طيلة حياته من فنون وإبداعات مختلفة، تكون محسوسة إلا وتم اعتبارها على أنّها ثقافة مادية، فحين يكرس الإنسان مهاراته لصناعة شيء ما، فهو بذلك قد خاض في ابتكار ثقافة مادية «وتشمل الثقافة المادية كل ما يعمله الإنسان في حياته وكل ما ينتجه العمل البشري، من أشياء ملموسة وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية»[2].

للثقافة المادية دور هام في المحافظة على استمرارية العادات الحميدة، التي سبق للأجداد اتباعها في قضاء حاجياتهم اليومية، وكذا المحافظة على هوية الشعوب، فبالعودة إليها سنتعرف على ظروف العيش آنذاك، في الفترات الماضية، وكيف تمكن السابقون من التأقلم مع تلك الظروف، وما الأدوات والأشياء المستعان بها لذلك.

وقد كان لجنوب الجزائر حظ كبير في احتضان الثقافة المادية، أين أصبحت صحراء الجزائر تستقطب السياح من مختلف أنحاء العالم، ذلك لما تحمله من ثقافة مادية كمباني وعمارات صنعت قديما ولازالت محافظة على شكلها، وفنون وحرف يدوية جديرة باستكشافها والتعرف عليها، ومن هنا يتحقق الدور المطلوب من الثقافة المادية، كونها عنصرا مهما يؤدي إلى إبراز حضارات الشعوب وتقاليدها إلى العالم، فمن الواجب أن نحافظ عليها، فهي ميزة أمة عن أخرى، أين ينفرد كل مجتمع عن الآخر بمظهر مبانيه وأشكال أدواته، فهي أيضا« كل ما يشمل الآثار والأماكن

[1] علي شطي، التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، ص13.

[2] سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، سنة 1983، ص94.

التاريخية، والمباني والتحف وغيرها وهي جديرة بالحفاظ عليها وحمايتها بشكل أمثل للأجيال القادمة»[1].

لا تقتصر الثقافة المادية على المباني والعمارات فقط، بل هي أيضا «التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت، وصناعة الملابس وإعداد الطعام وفلاحة الأرض وصيد الأسماك وغيرها»[2] إذن ومن أجل الحفاظ عليها وعلى استمراريتها تم إقامة معارض ومتاحف تتناول أبرز الصناعات التقليدية، إضافة إلى فتح ورشات متعددة من أجل تعلم الحرف اليدوية، واكتساب فنون الجيل السابق، الأمر الذي أنعش من جديد المجتمعات وشجعها أكثر على التمسك بثقافتها المادية، في الوقت الذي أصبحت التكنولوجيا تغزو العالم كله في شتى المجالات، الأمر الذي يسبب قليلا عزوف الناس عن العمل واعتمادهم على التكنولوجيا، فالتوجه إلى الاشتغال على الصناعات والحرف التقليدية، سيزيد من فرص العمل، وكذا انتعاش الاقتصاد.

3- الثقافة اللامادية

يقصد بالثقافة اللامادية كل « ما يبتكره الإنسان ويستخدمه في تفسير سلوكه، وأفعاله وتوجيهها، ولكن شرط ألا يخرج عن نطاق عقله وتفكيره»[3]، كما وتشمل الثقافة اللامادية «جميع السمات الثقافية غير الملموسة، كالمهارات الفنية والمعايير والمعتقدات والاتجاهات واللغة وغير ذلك مما تناقله أفراد المجتمع من جيل إلى آخر. وبالتالي فعناصر القيم والمعتقدات والعادات والأفعال

[1] العيد بكري، دور الإعلام الثقافي في الجزائر في التعريف بالتراث المادي واللامادي، عدد3، مجلد 10، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاقتصادية، المركز الجامعي سي حواس، سنة 2022م، ص127.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1994م، ص227.

[3] علي شطي، التراث المادي وغير المادي لمدينة المغير، ص13،.

والعرف والقانون، والنظم الاجتماعية، والرموز والأسطورة والحكاية والأمثال تحمل جوانب لا مادية للثقافة»[1]

فالثقافة اللامادية دائما ما تتمثل في أمور غير محسوسة، متوارثة جيلا عن جيل في صيغتين هما ثقافة لا مادية قولية، وأخرى فعلية «وللثقافة اللامادية نوعان هما :قولي وفعلي. القولي: يتمثل في الحكم والأمثال والأغنيات والحكايات والنكت والألغاز والدعوات والنداءات، وأسماء المحلات ومايكتب من كلمات وجمل وتعليقات على المناديل والثياب، وجدران البيوت من الداخل وعلى الأبواب وشواهد القبور وغير ذلك»[2]

أي أن الثقافة اللامادية بنوعها القولي هي مجموع فنون المشافهة من حكم وأمثال، وأغاني وفنون مكتوبة، من حكايات وما كتب على الثياب والجدران، كلها فنون تم ابتكارها قديما، إما من أجل المتعة والامتاع، أو من أجل تهذيب للمجتمعات من خلال الحكم والأمثال النابعة عن تجارب حقيقية، أو بواسطة حكايات تحمل من العبر والنصائح الكثير، كما ويساعد هذا النوع من الثقافة في تنشيط الذاكرة، كونه نوع وجب حفظه في ذاكرتنا لوام استمراريته، فالصفات التي تحملها الثقافة اللامادية بنوعها القولي ساهمت بشكل كبير على السير المنتظم للمجتمعات.

تتجلى الثقافة اللامادية في الأفعال أيضا لتعطي لنا نوعها الثاني وهو الفعلي « فيتضمن الاحتفالات والأعياد والمناسبات من زواج ووفاة وولادة ورقص وألعاب وزيارات وأزياء للملابس وأثاث للبيت وزينة»[3]، غالبا ما يكون هذا النوع هو الأكثر انتشارا أو الأكثر استحبابا داخل

[1] علي شطي، التراث المادي وغير المادي لمدينة المغير، ص13،14.

[2] سليم حاج سعد، ألتجاني مياطة، التراث المادي واللامادي لقلعة بني راشد وسبل المحافظة عليه، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص، مجلد 7، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، سنة 2023، ص347.

[3] نفسه، ص347.

المجتمعات، فهو يتناول أشهر العادات والتقاليد المنتشرة داخل معظم العائلات، من حفلات وطقس الزواج، كلها أفعال تجلب البهجة وتغمر الإنسان بالفرح والسرور.

تلعب الثقافة اللامادية دورا هاما لدى جميع الشعوب كونها تحمل مما يميز أمة عن أخرى الكثير من العادات والتقاليد المختلفة ، وجب المحافظة عليها ومن الجهود المبذولة من أجل تحقيق هذه الغاية نجد منظمة اليونيسكو، أين ترى هذه المنظمة أن جميع الثقافات تشكل جزءا من التراث المشترك للإنسانية جميعا «وتتضمن برامج المنظمة في هذا الميدان مشروعات تهدف إلى صيانة التراث الثقافي بشتى أشكاله وصوره، كما وتتضمن أيضا مبادرات لتعزيز التفاعل المثمر بين الثقافات»[1]، فالثقافة اللامادية بجميع أنواعها تحمل هوية الشعوب، لذلك يتم إنشاء متاحف وحصص تلفزيونية، من أجل نشر هذه الثقافة والتعرف عليها.

إنّ الثقافة اللامادية تذهب بالأساس لتعكس تاريخ وحضارات الأمم، والتعرف على الهوية الوطنية والقومية، وإبرازها خاصة في ظل قلة الشواهد عليها هذا الأمر يستدعي بالضرورة الوقوف على تلك العادات والتقاليد، والحرص على استمراريتها، فهي تساعد وتساهم بشكل جيد في تعزيز الروابط الماضية والحاضرة ، كونها تحمل من القيم ما يجعل المجتمعات أكثر تماسكا واتحادا، الأمر الذي يعزز من انتشار السلام والأمن بين المجتمعات.

[1] أحمد علي مرسي، صون التراث الثقافي غير المادي، أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية، مصر–أنموذجا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، سنة 2013م، ص11.

الفصل الأوّل: تمظهرات الثقافة المادية في الرواية

1- المأكولات والمشروبات.

2- اللباس وأدوات الزينة.

3- الصناعات اليدوية التقليدية.

4- المباني والأماكن.

1- المأكولات والمشروبات

تتميز الجزائر بالعديد من الأطباق التقليدية والمشروبات والتي تدخل ضمن الثقافة المادية، كما وتختلف هذه المأكولات والمشروبات من منطقة إلى أخرى، وقد تحدثت الروائية في روايتها "قلب الإسباني" عن هذا النوع من الثقافة والتي ذهبت تخص به منطقة الجنوب، أين اتضح أن المجتمع الصحراوي قد تفنن في إعداد أشهى الأطباق والمشروبات، التي كانت سائدة في الماضي ولازالت إلى يومنا هذا، متمسكة بأصالتها، وأهميتها القصوى داخل البيوت الجزائرية والصحراوية بالخصوص، بل ونجد أن هناك من الأطباق التي تعدت شهرتها الحدود الجزائرية، لتترأس على قوائم الأطباق الأكثر طلبا في إفريقيا، ولعل ذلك يعود إلى الطريقة الفريدة التي تحضر بها أو المكونات المستخدمة لطهيها، ومن أهم الأطباق التي تم ذكرها في الرواية نجد:

1-1- الكسكس

يعدّ الكسكس من بين المأكولات التقليدية الجزائرية ومن أبرزها وأشهرها في شمال إفريقيا، بل ويعتبر الكسكس ثقافة مادية اختص بها الجزائريون عن باقي الشعوب، فهو أكثر من كونه طعاما «الكسكس هو أكثر من مجرد طبق للاستهلاك، إنه ثقافة تتضمن العديد من مجالات التراث»[1]. إضافة إلى مكوناته البسيطة، والتي تتمثل في دقيق وطحين وماء، فالأمر الذي يجعله مميزا هو براعة المرأة الجزائرية والصحراوية في إنتاجه كما ورد في الرواية «تفتل الكسكس بالدقيق والطحين والماء بخفة يدين»[2]. ويصنع الكسكس بطريقة فريدة من نوعها باستخدام لوازم وأدوات تقليدية نجدها غالبا عند كل النساء الجزائريات، فهو يستغرق وقتا طويلا بالرغم من أنه يبدوا بسيطا <<لأنه يمرّ بمراحل عدة، ويتطلب تحولات عملية تحتاج معرفة دقيقة، كما يتطلب مجموعة من

[1] قلار ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، معهد الشارقة للتراث، الجزائر، ط1، سنة 2023م، ص174.
[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، الوطن اليوم، الجزائر، سنة 2018م، ص31.

الأدوات التي تم تصنيعها عبر القرون لتحسين جودته>>[1]. كما ويختلف ذوقه باختلاف نوع الدقيق المستخدم.

وقد ورد إعداد الكسكس كونه ثقافة مادية صحراوية، داخل رواية "قلب الإسباني" لـ"جميلة طلباوي"، أين نجدها قد شرعت تخبرنا عن الطريقة التي اعتاد بها أهل الجنوب لتحضير الكسكس، فقد اعتاد نساء الحي للنزول في بيت إحدى النساء واتخاذه مكانا يجمعهم من أجل فتل الكسكس ويسمى ذلك التجمع بـ"التويزة" «هكذا تهمس خالتي حادة للنسوة المجتمعات في حوش بيتهم لفتل الكسكسي في تويزة ورثتها من الجدات، تجلس فيها الأمهات كل واحدة منهن إلى القصعة، الإناء الخشبي المعد لهذا الغرض»[2]، وبالرغم من أن االكسكس طبق يمكن صنعه فرديا ولا يحتاج إلى تجمعات نسوية، إلا أن مذاقه ومتعته تكمن في تحضيره الجماعي، «تستطيع امرأة واحدة فتل الكسكس، وتحضره وحدها، لكن طبق الامتياز لا يوحي بمعناه الحقيقي إلا أن يصنع جماعيا»[3]

لا تقام مناسبة إلا وقد حضر طبق الكسكس في مناطق الجنوب خاصة، وفي الجزائر عامة، مرفوقا بالخضروات واللحوم التي تزيد من لذة الكسكس بل وله طرق عدة لتناوله، وتختلف أذواقه باختلاف المناطق، الأمر الذي يجعل منه طبقا متميزا ويعد الكسكس «وجبة مأخوذة كليا من الطبيعة؛ حيث يتم إعداده دوما بما تقدمه الأرض كخضروات موسمية، ولحوم المنطقة من بقر وغنم ومال ودواجن»[4]

وتختلف الغاية من فتل الكسكس، لتختلف معها الطريقة والموعد لذلك، فحين تكون الغاية هي تكثير الكسكس كمادة يمكن استهلاكها، حينما يشتد الجوع على العائلات الجزائرية، أو

---

[1] ڤلاز ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، ص174.

[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص32،31.

[3] ڤلاز ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، ص175.

[4] نفسه، ص174.

كاحتياط في المنازل، هذا التخزين الذي يطلق عليه "العولة" فيكون الكسكس ضمنها، وخلال هذه المرحلة تقوم الأم الجزائرية بإعداد الكسكس في أي وقت شاءت، أما عن الكسكس المراد تقديمه في الأعراس فإن مرحلة فتله تكون من بعد شهر من تاريخ إقامة العرس، ويحضر ذلك الكسكس في وسط مليء بالغناء والأهازيج، وقد شرعت الروائية في وصف عملية إعداد الكسكس وصفا دقيقا، كونها عملية من أهم ما يميز المجتمع الصحراوي، فتقول الكاتبة في هذا الشأن «تجلس البنات إلى أطباق سعف التخيل لحك كرات الدقيق الصغيرة التي تشكلت من خليط الطحين والدقيق والماء يسمينها رؤوس الكسكسي، يمررن أيديهن الطرية على تلك الكرات، حتى تتفتت وتصير في حجم أصغر، ثم يعطينها للأمهات كل واحدة تأخذ قسما في قصعتها لتواصل عملية فتل الكسكسي، ثم يمرر في الغربال إلى أن تتشكل حبيبات الكسكسي صغيرة متناسقة الشكل لتضعها البنات في إناء "الكسكاس" المليء بالثقوب والموضوع على قدر ماء يغلي حتى ينضج الكسكسي بفعل البخار وتصير حباته بلون أصفر كالذهب» [1].

إن توظيف الروائية لهذه الثقافة المادي يرينا مدى براعتها في محاولة تطوير الرواية الجزائرية «إن توظيف الروائيين للتراث بأنواعه المتعددة يعد مقياسا لتطور الفن الروائي»[2] من جهة أخرى يتمكن القارئ من التعرف على ثقافة الشعوب، وكذا الاستمتاع بها كما أنه من أسباب توظيف الرواية لثقافة إعداد طبق الكسكس، هو إضفاء على الرواية فوائدا حسية وثقافية تكمن في تعزيز الجانب الثقافي كون الكسكس جزء من الهوية الثقافية في مناطق عدة من شمال إفريقيا، فتوظيفه في الرواية يعكس تقاليد وعادات الشعب الذي تدور حوله الرواية وهو شعب الجنوب الجزائري.

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص32،31.

[2] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة 2002م، ص31.

من الممكن أيضا أن يكون المطلوب من ذكر ثقافة تحضير الكسكس يكون لغاية اجتماعية، فتحضيره يعدّ حدثا اجتماعيا يجمع بين الأقارب، فبمجرد وصفنا لهذه المناسبات نتمكن من استلهام العلاقات الشخصية وديناميات الشخصيات في الرواية، وكذا إضافة لمسة واقعة من خلال استخدام عناصر واقعية، تجعل الرواية أكثر متعة وجاذبية من طرف القرّاء الذين يتمكنون من خلال ذلك بربط تجاربهم الشخصية والرواية، ولن يكون بعيدا عن الروائية أن توظف الكسكس كرمز، كون الكسكس يحمل دلالات رمزية كثيرة أهمهما تعبيره عن الوحدة والانسجام بين الشعوب، نظرا لأهميته فبتجميع عدة مكونات ينتج لنا طبقا واحدا.

تساعد عملية تحضير الكسكس في تطوير الحبكة، فتلك العملية يمكن أن تكون سيناريو لدراما مصغرة، تكشف عدة معاني كالصبر والتعاون، وربما الصراع بين الشخصيات، كما يمكن من خلال تلك الثقافة المادية المتمثلة في الكسكس من استكشاف الهوية الفردية أو الجماعية، وكيف يرتبط الأشخاص بثقافاتهم من خلال الطقوس والطعام.

ومن خلال تعمقنا أكثر في رواية "قلب الإسباني" والبحث عن الغاية في توظيف الثقافة المادية فيها، وبالأخص توظيف "الكسكس" وكأن الروائية تريد ربط الثقافة بالمجتمع كون المجتمع هو من يختار ثقافته، وبها يحدد طريقة عيشه، «فالثقافة كما هي في تعارفها، طريقة حياة شعب ما، والمجتمع هو تكتل منظم لعدد من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم ويتبعون طريقة حياة معينة، وبعبارة أخرى المجتمع مؤلف من أناس وطريقة سلوكهم هي ثقافتهم»[1].

[1] بن جدو عبد القادر محي الدين الجيلالي، سيد أحمد نڤاز، بوعلينا حمحد، الصناعة التقليدية الصحراوية ودورها في نقل الموروث الثقافي، أفكار وآفاق، المجلد 9، عدد4، جامعة على كويش، البليدة، سنة2020م، ص194.

2-1- البغرير

البغرير هو نوع من الحلويات الجزائرية التي تقدم على شكل فطائر، يحضر خليطه من الماء وطحين وخميرة، تلك المكونات البسيطة جديرة بأن تنتج لنا ألذ ما يمكن تناوله مع الشاي أو القهوة، وذلك طبعا بعد أن يتم دهنه بالسمن، والعسل مباشرة حين طهوه، ويعد البغرير من المأكولات التقليدية الجزائرية عامة والصحراوية خاصة، وهذا لاحظناه طبعا حينما أقدمت الروائية، "جميلة طلباوي" على توظيف ثقافة تحضيره في روايتها.

ثم إن في الرواية حديث عن الظروف التي يحضر فيها البغرير، وعن الطريقة المناسبة لذلك، أين يمكن أن نجد المتعة أن يحضر البغرير في وسط الحوش، ويطهى على نار هادئة «تعد خالتي أم العيد البغرير على نار هادئة في الحوش تزينه بالعسل والسمن، تقدمه في طبق تضعه على المائدة يتحلقون حولها، كل فطيرة بغرير تتقاطر سمنا وعسلا والأيدي تتخاطف الأكلة اللذيذة في صمت،فلا يسمع غير صوت الشاي ينهمر من إبريق تمسك به خالتي أم العيد مشكلا فقاعات في أعلى الكؤوس تعبق بالرائحة الزكية لمشروب الصحراء السحري»[1]

يحمل استخدام البغرير في الرواية دلالات وأبعاد ثقافية عديدة، أهمها هو التعبير عن الغربة والاشتياق، فقط ربطت حادثة تحضيره واقع شخصية أم العيد بما فيها، فتتذكر ابنها عبد النور الغائب عنها اليوم، الذي كان يحب أكل البغرير «تتصرف لتحضير البغرير بالدقيق، والماء والخميرة، كم كان عبد النور يعشقه فلا يحلو له شاي العصر إلّا به»[2]، فقد كان إعداد البغرير كفيلا بأن يعود بذاكرة أم العيد إلى الخلف الأمر الذي يخلق اشتياقا جديدا لابنها، ومنه إضافة عواطف عميقة في الرواية، كما وعبّر البغرير أيضا على التجمعات العائلية، فإن من ثقافة تناوله

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص58.

[2] نفسه، ص58.

أن يوضع في طبق وسط المائدة يجتمع حوله جميع أفراد العائلة، الأمر الذي يحقق الفرح والبهجة في الأنفس، كما أنه محبوب وسريع التحضير بمكونات بسيطة.

في كثير من الأحيان يكون الغرض من ذكر البغرير في الرواية هو التعريف بالهوية، والثقافة الصحراوية بالخصوص، كون البغرير من المأكولات التقليدية الحاضرة بقوة في الجنوب الجزائري، الأمر الذي يعيننا في التعرف على البعد الثقافي للشخصيات في الرواية، وتجعلنا نتعمق في أحداثها ونتفاعل معها، فمثل هذه التفاصيل تثري السرد الروائي«ومع تفجير مسألة الهوية منذ بضعة عقود، أخذ الطعام شحنة جديدة حيث صار ينظر إليه بوصفه مكرسا لتقطيعات اجتماعية واثنية وثقافية، مما مهد السبيل لإعادة اكتشاف الذاكرتين المطبخية والغذائية، وغني عن الشرح والتفصيل دور الذاكرة في تركيب الهوية واستمرارها»[1].

إن مكونات البغرير البسيطة والمتمثلة في خليط من الدقيق والماء والخميرة، يجعل منه مرغوبا أكثر كونه يتماشى مع كل الطبقات الاجتماعية، ويكمن لأي أسرة تحضيره، إلا وأنه بعد دهنه بالزبدة والعسل سيبدو البغرير فاخرا، وهو الأمر الجميل في هذا الطبق، فبإمكان أي كان أن يتناول أكلة فاخرة بمجهود قليل وتكلفة أقل، ويمكن مرافقته بأي مشروب كان وأبسط المشروبات التي تتماشى والبغرير هو الشاي.

إن توظيف ثقافة البغرير، يحطنا بين أمرين هما الحداثة والتقليد، فمن خلال الرواية نكشف التوتر القائم بين الحفاظ على ماهو تقليدي، والابتكار والتجديد في العادات الغذائية، خاصة ومع تأثر المجتمعات بالثقافات الأخرى الأمر نفسه، مع شخصية "عبد النور" والذي عاد حديثا من

[1] عماد صولة، هوية الطعام وطعام الهوية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد2، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2012م، ص254.

إسبانيا، ففي الوقت الذي كان يتناول فيه البغرير مع إخوانه في الحوش ويضحكون ويتلهفون على الأكل، «أما يوم عاد فلم نجد غير المسفوف تناوله بالحليب الرائب»[1].

وقد أخذ البغرير بكونه عنصرا ثقافيا يخدم السرد في الرواية بشكل يتجاوز كونه مجرد تفصيل بسيط، ليصبح جزءا مهما في نسج أحداث للماضي والمستقبل في الرواية، كما وربط تحضيره بين سعادة الشخصيات وحزنهم، أين أخذ البغرير رمزا للفرح، وذلك يظهر في الرواية، فقد كانت الشخصيات سعيدة آنذاك، ويبقى ذكرى سعيدة حينما يشتد الحزن على الشخصيات في الحاضر.

3-1- الشاي

يعد الشاي من المشروبات الأكثر استهلاكا عند سكان جنوب الجزائر، فلا يخلوا يوم العائلة الصحراوية من الشاي، تلك الثقافة في شرب الشاي كانت ولازالت قائمة عند الصحراويين إلى يومنا هذا، سواء في أيامهم العادية، أو من أجل تقديمه للضيوف، أو حتى في أفراحهم ومناسباتهم ظل الشاي موجودا على طاولة المجتمع الصحراوي، كما هو الحال في رواية "قلب الإسباني" فترى أن الشاي كان حاظرا وبقوة في مختلف الأوقات والأحداث.

يشرب الشاي عند أهل الجنوب حسب مواقيت معينة، وهذا ما لاحظناه من خلال الرواية، أين يتم تنظيم وقت محدد لشرب الشاي «تتطلع إلى لون الشمس ندرك بأن موعد شاي العصر اقترب»[2]، ومن هنا يتبين لنا أن الشاي ذو أهمية كبيرة، وكذلك انضباط سكان الصحراء وترتيب أوقاتهم، كما قد عمل تذكر موعد شرب هذا المشروب على تحديد الزمن في الرواية، ذلك الزمن الذي عاد بشخصية "أم العيد" إلى الوراء، فتذكرت أنه كان الوقت المفضل لابنها " عبد النور"

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص58.

[2] نفسه، ص57.

فبتذكرها للشاي، زاد شوقها وحنينها إلى ولدها "موعد لم يكن عبد النور يخونه أبدا، بل كان يتلهف إليه خاصة إذا ما رافقته فطائر البغرير»[1]، فقد كان موعد شري الشاي موعد يدخل البهجة إلى قلوب الصغار والكبار.

يعد الشاي أحد الثقافات التي تميزت بها الحضارة العربية الإسلامية ككل، فللشاي بعد جغرافي واسع «يتمتع الشاي بميزة خاصة في الحضارة العربية الإسلامية، لما يعكسه من عمق تاريخي وثقافي في الأطمعة والأشربة، فهو جزء مهم من عادات العالم العربي>>[2]، والسبب في انتشاره الواسع في كافة أنحاء العالم هي تلك الفوائد التي يحملها فهو يساعد على تنشيط الذاكرة، ولعل نفس الأمر تجلى في الرواية، حينما أرادت شخصية وهيبة التحدث مع والدتها في موضوع مهم فحضرت الشاي من أجل مناقشة ذلك الموضوع <<وفي مساء خريفي توجهت إلى المطبخ أعدت كعكة شهية وحضرت الشاي وبدأت تمهد لوالدتها موضوع زواجها من رجل الأعمال فهد لم تخف والدتها قلقها، لكن وهيبة ترجتها أن تفكر بعقلها لا بعاطفتها»[3].

يعد الشاي رمزا للهدوء والطمأنينة، بل أنه من يصنع الطمأنينة لدرجة أن صوت سكبه من الإبريق إلى الفنجان مهم جدا، فلا يحلو شربه إلا بالإصغاء ذلك الصوت «نتخاطف الأكلة اللذيذة في صمت فلا يسمع غير صوت الشاي ينهمر من إبريق تمسك به خالتي أم العيد مشكلا فقاعات في أعلى كؤوس تعبق بالرائحة الزكية لمشروب الصحراء السحري»[4].

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص57.

[2] حشلاني أحمد، الشاي في الصحراء الجزائرية، المشروب الأكثر شعبية وجمالية، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد4، مجلد15، جامعة طاهري محمد بشار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية مخبر الفلسفة وتاريخها، جامعة وهران2، سنة 2023م، ص198.

[3] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص120،119.

[4] نفسه، ص58.

حب أهل الصحراء للشاي جعلهم يرافقونه مع معظم وجباتهم، حتى مع الأطباق الفخمة كالكسكس وغيرها.

أصبحت أواني الشاي اليوم تبين المكانة الاجتماعية لأي أسرة كانت من خلال الأواني التي يوضع الشاي فيها « لم يبق الشاي مجرد مشروب يقدم للضيوف في براد فضي، وفي كؤوس عادية من الزجاج بالبيوت بل صار وسيلة لإظهار المكانة الاجتماعية للعائلة من خلال استخدام إكسسوارات ضخمة غالية الثمن لإعداده وتقديمه فهو الشراب الأكثر شعبية وجمالية أنه شراب الفقراء والأغنياء على السواء»[1]، ففي حضور الشاي تحضر النقاشات، وأهم الموضوعات على أكواب الشاي يُعلى صوت المزاح والضحكات، ولا يحضر الشاي إلا بعد عملية فنية يقوم بها مُحضِّره «إعداد الشاي عملية فنية ترتبط بتقنيات دقيقة خاصة لها مراحل مضبوطة»[2].

إن ثقافة شرب الشاي وإعداده تضيف طقسا في الرواية، فيساعد على بناء جو معين في المشهد، كما من المحتمل أن تلجأ الروائية لإضفاء هاته الثقافة، من أجل خلق لحظات يسودها الهدوء، والطمأنينة والتأمل، وكذا مساعدة الشخصيات في التفاعل والحوار فيما بينهم، فدائما ما يقدم الشاي في المناسبات الاجتماعية، السعيدة، منها والحزينة، وكأن الشاي يشارك أفراحنا وبؤسنا في أحزاننا، فالشاي رمز للألفة والراحة، وقد يكون لون الشاي ودرجة حرارته مكانة خاصة في الأنفس، وكذا الطريقة في تقديمه معبرة أيضا، وقد وضح شرب الشاي الواقعية، فباتشغال شخصيات الرواية به هو شيء بسيط ويومي، يساعد القراء بالانغماس داخل الرواية والاستمتاع بها.

[1] حشلاني أحمد، الشاي في الصحراء الجزائرية: المشروب الأكثر شعبية وجمالية، ص203.

[2] نفسه، 203.

2- اللباس وأدوات الزينة

يعد اللباس وأدوات الزينة التقليديان ثقافة لا يمكن الاستغناء عنها، فهما جزء من تاريخ الشعب والمجتمع الجزائري «فمن الطبيعي أن يعتز كل فرد بملابسه ففيها ارتباط وعمق تاريخي وثوراتي بالأصالة والحضارة والعادات والتقاليد»[1]، إضافة إلى أدوات الزينة والتي دائما ما كانت تلعب دورا أساسيا في حياة المرأة في شتى الأوقات والظروف وبغض النظر عن حالتها فإنَّ «الزينة أمر أساسي بالنسبة للمرأة، وامتلاكها للأدوات الخاصة بها لا بد منه ، بغض النظر عن نمط حياتها، سواء كانت مستقرة في القصور، أو تعيش حياة البداوة القائمة على الترحال»[2].

وقد كان اللباس التقليدي الصحراوي، وأدوات التربية حاضرين بقوة في الرواية التي هي محط دراستنا، أين تجلت ثقافة ارتداء الزي التقليدي الصحراوي، والتزين بالزينة التقليدية داخل الرواية بقوة، أين اتضح أن الروائية قد جعلت من الشخصيات تظهر بالثقافة الصحراوية البحتة، ومن أهم الألبسة التقليدية وأدوات الزينة التي ظهرت في الرواية.

1-2- ليزار

الليزار وهو لباس تقليدي صحراوي، زي يتماشي مع الظروف الصحراوية وحسب رواية "قلب الإسباني" فإن هذا الزي التقليدي من أبرز الأشياء التي لا يمكن للمرأة في الجنوب التخلي عنها، ويظهر ذلك من خلال سرد الروائية حينما قالت وهي بصدد وصف شخصية، "أمّا عقيدة" وكيف ترتدي زي الليزار «لا تنزع لباسها التقليدي ليزار أبدا، في جزئه الأمامي جهة الصدر تتدلى

[1] دريسي ثاني سلاف، اللباس التقليدي "الحايك نموذجا"، مجلة أنثروبولوجيا، العدد8، مجلد 4، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، سنة 2018م، ص201.

[2] فاطة دجاج، اللباس الحلي وأدوات الزينة لدى المرأة بمنطقة الأغواط خلال القرن 19، العدد1، مجلد6، جامعة الأغواط، سنة 2022، ص704.

قطعة من قماش تصل إلى الحزام، كثيرا ما تمد يده لتدخلها فيها، وتخرج بعض الوصفات الشعبية ربطتها في قطع قماش صغيرة تسميها "الصرّة"، منها ما تدعي بأنها تحفظ من العين ومنها ما تدّعي بأنها تخفف متاعب الوحم، والكثير من مشاكل النساء الصحية»[1].

فلباس ليزار يحمي النساء من حرارة الشمس القوية، فائدة أخرى يعطيها هذا اللباس هو أن بإمكان المرأة الصحراوية أن تخبئ أشيائها فيها، الأمر الذي يسهل في الصحراء على النساء التنقل وأداء أشغالهم اليومية متخذين هذا اللباس كتحدي للظروف القاسية كيفما كانت، إضافة إلى شخصية «"أما عقيدة" شخصية أخرى أيضا كانت ترتدي هذا اللباس وهي شخصية "أما ستي" <<أخبرته خالتي أم العيد كيف أنها ارتدت الحايك وحملته بين ذراعيها، والجدة أما ستي إلى جانبها بلباسها التقليدي ليزار»[2]، فبالإضافة إلى كون هذا الزي يساعد المرأة في أداء أعمالها اليومية داخل منزلها، كذلك يمكنها أن تذهب به إلى أمكنة بعيدة عن بيتها، وهذا ما يؤكد أنه لباس محتشم يمكن للمرأة أن تذهب به حيثما شاءت.

ونستنتج أيضا أن هذا اللباس ذو شأن وقيمة كبيرة لدى المرأة الصحراوية فقد ظهرت كبار نساء القرية في الرواية وهن يرتدين اللباس، نساء ذوو هيبة وشخصية قوية أمثال شخصية "أما ستي" والتي جاهدت خلال الثورة التحريرية الجزائرية، الأمر الذي يزيد لباس ليزار قوة وعظمة، كيف لا وهو اللباس الذي استنجدت به المرأة الصحراوية لمحاربة الاحتلال، وكأنه زي محصن يحمي المرأة من هجومات العدو.

إن الحديث عن لباس الليزار وكيفية ارتداءه في الرواية أعطى جوا حماسيا لدى القراء، كما ومكنه من معرفة المكان، فليزار لباس صحراوي بامتياز، وغاصت بنا تفاصيل هذا الزي داخل

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص19.

[2] نفسه، ص12.

الثقافة التي تمتع بها أهل الجنوب، كما وعاد بنا إلى ذكريات الماضي أين اتضح أنه رمز للمقاومة والنظال، كون هذا اللباس يتحمل الحرارة العالية في الصحراء وظروفها وقد تحمل من قبل الحرارة والإحتلال الفرنسي، هذه المميزات التي حملها زي الليزار جعلت من شخصيات الرواية يحتفظن به حتى بعد موت من كان يرتديه، إذن فهو رمز للذاكرة وللأشخاص فهو يعبر عن شخصية مرتديه من هو وكيف كان.

2-2- الحايك

الحايك هو لباس تقليدي جزائري، له ماض عريق بل ويعتبر من أجمل الثقافات المادية التي تحلت بها المرأة الجزائرية بالعموم، والامرأة الصحراوية بالخصوص، كما ويعد الحايك «رمزا من رموز الثقافة الشعبية وجزءا من موروثها الشعبي، التي تفتخر به المرأة الجزائرية عبر الزمن»[1]، وتختلف كل منطقة من مناطق الجزائر عن الأخرى في كيفية تسمية هذا الزي وكذا انتقاء ألوانه والقماش الذي يصنع به «قد يكون مصنوعا من القماش العادي أو الصوف أو الحرير، يرفق بحجاب الوجه "العجار" إذ لم يكن يغطى الوجه كله، إلا عينا واحدة لتجد المرأة طريقها»[2] فهناك من ترغب بارتداء العجار معه، وهناك من تمتنع عن شرط أن يغطي الحايك وجهها ككل، إلا عينا واحدة لكي تتمكن من رؤية الطريق.

وقد وظفت رواية "قلب الإسباني" هذه الثقافة التي تحلت بها شخصيات الرواية، منها شخصية "أم العيد" ويظهر ذلك حينما شرعت تقص على ابنها يوم ارتدت الحايك وخرجت به ليكون بذلك الحايك هو اللباس الذي تنتقل به النساء إلى أماكن بعيدة عن المنزل ، قصد سترتهن وإخفاء هويتهن، وتختلف تسميات الحايك داخل ربوع الوطن إلا أنه كان في الجنوب الجزائري يطلق عليه

[1] دريسي ثاني سلاف، اللباس التقليدي، الحايك نموذجا، 201

[2] ڤلاز ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، ص155.

اسم "الملحفة الصحراوية" «تلبسه المرأة الصحراوية أينما حلت وارتحلت وهو نوع من القماش الساتر، الذي تغطي به المرأة بدنها بطريقة "الالتفاع" أو "التلفع" بمعنى أنها تلف بها جسدها»[1]

لقد كان الحايك قطعة قماش واحدة، إلا أنه كان يغطي كامل جسم المرأة، وهذا دليل على مدى ذكاء ودهاء المرأة الصحراوية في استغلال ما تيسر لها من قماش ومما يمكن الحصول عليه لكي تغطي نفسها، وذلك ما يبين الظروف الاقتصادية الصعبة التي مرت بها المرأة الصحراوية، إلا أنها استطاعت أن تدير أمرها ونجد حلا مناسبا لها، لم تكن تلك القطعة تخفيها فقط بل زادتها جمالا وأناقة.

إضافة إلى كون الحايك يحقق هوية وجمال المرأة في الصحراء، يعمل أيضا على سترها وحمايتها من أشعة الشمس الحارقة في المنطقة، ويرجع ذلك إلى لونه الأبيض الذي يعمل على عكس أشعة الشمس، كما «يعمل على حجب جمال المرأة المتمدنة الغنية ويحميها من الإعتداءات كما يحميها من عين الحسود خاصة المرأة المتزوجة كانت تخشى على خصوصيتها»[2] فقد اتخذت المرأة هذا اللباس كعامل لإبعاد الحسد عنها، لتجعل من الحايك حصنا يقيها من كل الأحداث السلبية التي قد تتعرض لها خارج منزلها.

يعتبر الحايك رمز الحياء لدى نساء الجنوب ونساء الجزائر بالعموم، وفي الوقت نفسه لباس القوة والشجاعة، كونه شاهدا على بطولات المرأة الجزائرية المكافحة، والمقاتلة إبّان الثورة الجزائرية التحريرية «وما كان على النسوة إلا القيام بمهمات خطيرة إبّان الثورة بزرع القنابل ونقل الذخيرة والتخفي فيه، لأن المستعمر كان يخشى أن يقترب من النساء والقيام بتفتيشهن»[3] فإن للحايك هيبة وحضور قوي، حتى المستعمر الفرنسي كان يخشى تفتيش النساء وهن بزي الحايك.

---

[1] دريسي ثاني سلاف، اللباس التقليدي "الحايك نموذجا"، ص204.

[2] نفسه، ص210

[3] نفسه، ص211.

ومنه فإن الحايك أخذ عدّة دلالات ورموز، تكمن في أفكار ومشاعر النساء، تلك الأفكار التي تجسدت في حياءهن وعفتهن، كما وقد كان الحايك رمزا للخصوصية، وقوة المرأة وكفاحها، فارتداء إحدى شخصيات الرواية لهذا اللباس التقليدي يوضح أنها شخصية قوية، كما وبين ويدل على معتقداتها الدينية، وثقافتها، كما وإن لونه الأبيض كفيل بأن يحمل رسالة عن السلام الذي تبحث عنه المرأة ويعكس روحها النقية، وطريقتها في ارتداءه ترمي بالضرورة من أجل احترام خصوصيتها، لذلك وجب علينا الحفاظ على ثقافة عريقة كهذه وصونها من أجل عدم ضياعها فهي تعني الكثير خاصة وفي الوقت الذي أصبحنا فيه، فقد نحتاج يوما ما للعودة إلى هذا اللباس التقليدي، فهو لباس يستحق الاحترام والتقدير، فهو الذي استعانت به أمهاتنا للتكيف مع الظروف الصعبة ومقاومتها.

3-2- الحنّاء

الحناء هي إحدى وسائل الزينة التي بقيت متوارثة عبر الأجيال، وهي من عادات وتقاليد الجزائريين الحاضرة في أفراحهم ومناسباتهم، والحناء«هي نبات كان يستعمله القدماء، يحمل التسمية العلمية "لوصونيا إنخميس"، كانت تزرع في الحقول وتباع على شكل أوراق وتحضر في المنازل، لكنها اليوم تباع مرحية معلبة ثم يضاف لها قليل من الماء الساخن أو أي مادة أخرى سائلة»[1]، وقد كانت الحناء من أبرز أدوات الزينة التي تزينت بها نساء الصحراء، كما وكانت العجائز تستخدمها في إخفاء الشيب أين برز ذلك في الرواية حينما ذهبت الروائية تصف شخصية "أما عقيدة" قائلة :«تبرز من تحت غطاء رأسها الذي تسميه الغناس ضفيرتان أخفت الشيب فيهما بخضاب الحناء»[2].

[1] ڤلاز ويزة التراث غير المادي في الجزائر، ص144.

[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص19.

فالحناء هي رمز للحيوية والشباب ، فبإمكانها أن تعيد كبار السن بهجتهم بصغرهم فهي تخفي اللون الأبيض الشائب من الشعر، وتعوضه بلون أحمر يزيد من بهجتهن وسرورهن، ليس النساء الكبار فقط بل حتى الفتيات كما ورد عن شخصية مبروكة «وكثيرا ما كانت تأتي كل خميس وهي تحمل إناء مليئا بالحناء لتخضب شعرها وشعر سعدية استعدادا للذهاب إلى الحمام الشعبي بحي الدبابة»[1].

تستعمل الحناء أيضا في الأعياد والمناسبات بل إن ثقافة التزيين بالحناء لا يمكن تجاوزها خاصة في الأعراس، أين يقام يوم خاص بالحناء اليوم التي تقوم به العروس بدعوة أقاربها وعلى مسمع من الزغاريد وأقوال شعبية، توضع الحناء على يد العروس «تتسم لحظة وضع الحناء في يد العروس يوم العرس بشعور سحري، إنها اللحظة الحاسمة التي لا يمكن تعويضها بأخرى، لحظة تتسم بتحقيق الضجيج وتهدئة الناس»[2] ففي الوقت الذي يعلو فيه صوت الأغاني وضجيج الأطفال والنساء في العرس، تعلن لحظة وضع الحناء ليسود الهدوء داخل قاعة العرس احتراما وتقديرا لتلك اللحظة أولا، ثم من أجل الاستمتاع بها، فهي لحظة مميزة في ذهن كل عروس، فلا يمكن تفويتها من قبل النساء الحاضرات في العرس، إنها لحظة تدخل البهجة والسرور في القلوب وتزرع في أنفسهم السكينة والطمأنينة.

إضافة إلى مظهر الحناء الخارجي الذي يعطي جمالا للمرأة الصحراوية، كذلك للحناء فوائد قيمة فقد «استعانت بها جداتنا في تداوي العديد من الأمراض؛ بحيث صنعوا منها خلطات وأحيانا لوحدها عالجوا بها بعض الأمراض سواء سطحية كانت أو داخلية في الجسم»[3] مما يجعل الحناء

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص19.

[2] قلاز ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، ص145.

[3] لطرش الطيب، بن شريط فاطمة مجيدة، دلالة الحناء في المعتقدات لأهل مدينة الجلفة، العدد3، مجلد6، جامعة الجلفة، الجزائر، 2012م، ص19،20.

مميزة أكثر لدى المجتمع الصحراوي، فهي زينة صالحة لكل الأعمار، حتى أن الأطفال كانوا ينتظرون الأعياد من أجل أن يضعوا الحنة في أيديهم فالحناء تزيد بهجة الأعياد.

ولأن الحناء تعتبر زينة فإن النساء يخجلن الذهاب بها إلى الجنائز، ففي معتقدهم أنها تعبير عن الإهانة فبوضعك الحناء إذا أنت سعيد، فكيف يمكن الذهاب بسعادة إلى الجنائز، التي فيها بكاء وفقدان وكذا حزن كبير، للحناء رمزية كبيرة في الثقافات العربية والإسلامية عامة، وفي الجزائر خاصة، فرسم الحناء على الجلد من التقاليد والعادات الراسخة في أذهان الجزائريين، فالحناء رمز للجمال والنقاء والإحتفال باللحظات السعيدة والجميلة، كما تعبر طريقة نقش الحناءعن الذوق الفني والإبداعي للأفراد، فقد تفننت نساء الصحراء اليوم بالرسم أو النقش بالحناء، كما وتعتبر تعبيرا عن الفأل الحسن وعن التحلي بالأمل والصبر، فلطالما اعتادت الفتيات في الأعراس بوضع حنة العروس على أمل أن يتزوجن ويعشن بسعادة في الأوقات القادمة، كما ويمكن للون الحناء أن يعبّر عن الواقع الجميل والتطلع لآفاق جديدة يغمرها الإطمئنان والهدوء، وضع الحناء في اليدين أو الرجلين وانتظارها لتجف لحظة تستحق الاستمتاع بها لحظة تعيدنا إلى ذكريات مضت.

3- الصناعات اليدوية التقليدية

إن الصناعات اليدوية التقليدية وباختلافها وتنوعها تعتبر جزءًا لا يتجزأ من ثقافة الشعوب. فبها كان الإنسان قديمًا ولا يزال يقضي بها حاجاته اليومية ويلبي متطلبات عيشه. وقد استطاعت هذه الصناعات الصمود والبقاء إلى يومنا هذا بفضل «اعتمادها على مواد متاحة وبسيطة. كما أن

معظم هذه الحرف لا تتطلب مساحات واسعة لممارستها، وهذا ما يجعلها تصمد أمام التغيرات المجتمعية والحضارية»[1].

وللجزائر كم هائل من الحرف والصناعات اليدوية، كونها بلدًا يطل على ثقافات عدة وله حدود مع شعوب كثيرة. فمنطقة الجنوب الجزائري مثلًا تحمل الكثير من الصناعات. وقد برزت لنا حينما خضنا في قراءة رواية "قلب الإسباني"، والتي شدنا فيها تمسك المجتمع الصحراوي بأدواتهم المصنوعة يدويًا، والتي تمثلت في:

3-1- العُكَّة

العكة من الصناعات التقليدية القديمة في جنوب الجزائر، وهي وسيلة تخزين «إناء من الجلد يجمع فيه السمن والعسل»[2] فالمواد المستخدمة في صنعها توحي إلى مدى أصالة هذه الأداة.و تُصنع غالبًا من جلد الماعز وأحيانًا من جلد الغنم. بعد أن يُغسل الجلد جيدًا ويُجفف، ويتم تنقيته من كل الصوف أو شعر الماعز. وإنّ طريقة صنعه وتنظيفه تجعل النتيجة تبدو بطعم جميل. ففي النهاية، سيمتلئ ذلك الجلد بالسمن والعسل اللذيذ.

تتجلى ثقافة استخدام هذه الصناعة اليدوية في رواية جميلة طلباوي «حتى عندما عادت "أما ستي "من زيارتها للطالب "السي أحمد "ذات مساء، وهي تحمل "التميمة"، وتأمرها بأن تعلقها لعلها تنجب الذكر. فقد كلفتها تلك التميمة عكة كاملة أهدرتها للطالب "السي أحمد"»[3]، إذ كانت العكة آنذاك أغلى شيء يمكن أن تقدمه أو تقايض به شيئًا ثمينًا.

---

[1] نجمة عليوش، وضعية الصناعة الثقافية الوطنية والحرف والصناعات التقليدية أنموذجا إلى سلسلة الأنوار، عدد 1، مجلد12، جامعة 20أوت 1955سكيكدة، الجزائر، سنة 2022.، ص91.

[2] علي شطي، التراث المادي وغير المادي لمدينة المغير، ص92.

[3] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص20.

إن فهم الشعب الصحراوي لاستخدام وسيلة العكّة يؤكد على أن هذا الشعب يمتلك فنونًا ومهارات في الإنتاج، ويكشف عن صبرهم وقدرتهم على التحمل والإرادة، فشكل العكّة ومحتواها يوحيان لنا بأن الجلد القاسي الذي نراه من الخارج ليس كل شيء، ففي الداخل يوجد السمن والعسل الطيب الذي يمكن تذوقه أو روايته. ويمكن أن نستنتج من العكّة أن ليس كل ما نراه من الخارج يعكس ما هو في الداخل، سواء في الأشياء أو في داخل الإنسان.

لقد كان قديماً جمع السمن والعسل مثل جمع الذهب أو الفضة، وكان لهذين العنصرين قيمة كبيرة عند الأجداد. فلم يجدوا أنسب طريقة للمحافظة عليهما من وضعهما في العكّة، والتي أصبحت وسيلة لحماية أغلى ما يملكون من مأكولات. زادت قيمة هذه الوسيلة وارتفعت مكانتها لدرجة أن عكة واحدة مملوءة بالسمن والعسل قد تخلصك من الإحراج عند تقديم هدية أو استضافة شخص في المنزل وبذلك تعكس العكّة شخصية أهل الصحراء وتبرز مدى كرمهم وحسن ضيافتهم.

كما تعبر العكّة المملوءة بالعسل والسمن عن نشاط ومهارة النساء في ملئها، وتمنح المرأة الصحراوية رمزًا للمثابرة. جمع السمن ليس بالأمر السهل، فهو يمر بمراحل عديدة وشاقة تقوم بها ربة المنزل بجد وصبر. فتساعد بذلك أفراد عائلتها ليتمكنوا من تذوق ما جمعوه من عسل وسمن بعد جهد شاق وصبر طويل.

2-3- النسيج

النسيج صناعة تقليدية احترفت فيها المرأة الجزائرية عامة، وابتكرت فيها المرأة الصحراوية من أجل أن تغطي احتياجاتها واحتياجات أسرتها من ملابس وأفرشة، في منزلها فكانت شخصية أم العيد «تسند المغزل الخشبي إلى ساقها الناصعة البياض الموشومة، سعف نخيل أخضر ، وباليد الأخرى تمسك خيط الصوف وبحركة رشيقة تدير المغزل بيد، وتشد الصوف بيد أخرى لتتشكل

خيوط دقيقة تتناثر من حولها ذرات غبار تتلألأ في شعاع الشمس المتسرب من فتحة أعلى سقف البيت تسميها عين الدار »[1] .

الوصف الجميل الذي جاء في الرواية عن عملية الغزل يدل على أن للنسيج مراحل عديدة أولا، كما ساعد في إعطاء وصف للمكان الذي غالبًا ما يتم فيه عملية النسج، وهو يظهر ما تحترفه المرأة العاملة على النسيج، والأمر الذي راح يخلق في القارئ جوًا من الحماس والتشويق. فهو لمن المبهج مشاهدة وتصور هذه العملية، وكأنها روبوت فلا تنسى حركة فإن فعلت اختل العمل، وبدا ناقصا، وهذا دليل واضح على الانضباط ومن ناحية أخرى، تكشف مرحلة الغزل التحول الذي يمكن أن تحصل لأي شخص، كما حصل الصوف، الذي أصبح خيطًا دقيقًا بفعل فاعل.

ولا تحلو عملية الغزل إلا يتزويدها من الأهازيج والأغاني الشعبية، لكي لا يسود الملل والضجر عند النساء فهاهي شخصية "أم العيد"، وهي تغزل الصوف تدندن قائلة: «السي بكّار ما يولي ليا مشى للدَايمة وقطعو ليَاس، ، خرْجو ميراث كاشفات السنّة على يديهم قالوا مات»[2] تلك الأهزوجة التي راحت، تذكّرها بالراحل عنها عبد النور، ليكون الغزل بهذا سببًا في استرجاع الذكريات والحنين.

كانت نساء الجنوب تنسج الفراش مستعملة بقايا الملابس، «"البراكنو" "سجادة خالتي أم العيد، نسجتها من خيوط بقايا ملابسها، وملابس أولادها»[3] فالمرأة الجزائرية لطالما كانت تساهم في تحسين اقتصاد أسرتها والمجتمع، فتبحث عن شتى الطرق من أجل ذلك. كانت عملية النسيج سببًا

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص56-57.
[2] نفسه، ص57.
[3] نفسه، ص61.

في ذلك، كونها عملية دورية تنتهي بانتهاء الخيوط. وفي هذا التعبير عن التحول، فكما كانت خيوط الصوف اليوم بالفعل فراشا، كذلك يمكن أن تتحول حياة الإنسان من حال إلى حال، ومن وضع إلى آخر، مع تقديم الزمن، فلا شيء يبقى على حاله. من جهة أخرى، يبرز النسيج ثقافة المرأة الصحراوية في حرصها على استهلاك القديم لإنتاج شيء جديد يفيدها ويفيد عائلتها.

النسيج قد يبدو سهلاً حينما نرتدي الملابس المنسوجة، إلا أنه عملية صعبة تحتاج إلى خبرة عالية ودقة، إضافة إلى الأدوات المستخدمة في العملية، وبالأخص المنسج أو أداة النسيج التي «كل أجزائها مصنوعة من الخشب، الصنع مثل التركيب ليس سهلا أبدا فالعمليتان تتطلبان الدقة والتقنية العالية »[1]. الشيء الذي يجعلنا نرى بأن المرأة الصحراوية امرأة ماهرة، وذات طابع فني وإبداعي. يمكن أن يمتد النسيج أحيانًا إلى حياة الإنسان ومصائره في الواقع، فكانت تلك الخيوط تعبر عن مسائل البشر والأحداث المتعلقة بهم والتي تدور في حياتهم اليومية، فيتم نسج تلك الأحداث والمصائر لتصبح واقعا ملموسًا.

فيمكن أن تتحول حياة الإنسان من حال إلى حال تماما مثل النسيج فبعد أن كان صوفا صار خيوطا ثم لباسًا، كذلك حياة الإنسان قد تتحول إلى الحالة التي يبحث عنها وهي حالة الراحة والطمأنينة. كما تدل مراحل النسيج الطويلة المتعبة على مشقة الحياة التي يجب الصبر عليها والمثابرة في انتظار الأمل في المستقبل. فصحيح أن النسيج متعب ويأخذ مدة طويلة، إلا أن النتيجة في النهاية ستشعرك بالرضا، إن النسيج صناعة قد راحت تبرز مدى ثقافة المرأة الصحراوية ومدى تحليها بالإبداع والدقة والصبر وكيف أن بإمكانها تغيير الحياة إلى الأفضل.

[1] قلاز ويزة، التراث الثقافي غير المادي في الجزائر، ص138.

3-3- أداة الخطّارة

الخطارة هي آلة تقليدية الصنعِ في الصحراءِ تستعمل من أَجلِ السقي، وتعتبر هذه الآلةُ مِن الموروثات الثقافيَّةِ الصَّحراوِيةِ الأشدّ ضَرورَة. و«إذا كانَت القصورُ والقَصباتُ قد لَعِبَت أَدوارًا طلائعية على مر العصور في مُختَلَفِ ما يَدِينُ حَياة الإنسانِ الواحيِّ، فالخطّارات بِدورها ساهَمَت في تَنظيمِ العَلاقات بَينَ الجَماعاتِ والأفرادِ، ومَكَّنت من تدبير الموارد المائية المُتاحةِ»[1]. وقد وَرَدَت آلةُ الخَطّارةِ في روايةِ "قَلْبِ الإسبانِيّ "على أنَّها «الآلة الخشبية العجيبة الَّتي صَنَعَها رَجُلُ الصَّحراءِ مِن أخشاب النخيل والحِبالِ، تَسحَبُ الماءَ مِن قاعِ البئر إلى الأَرضِ العَطْشَى فتَرتَوِي وتَلبَسُ الصَّحراءُ وجهَ الجنةِ»[2].

لقد تَجَّلت هذه الآلةُ بصفتها صناعة تقليدية وثقافة مِن الثَّقافاتِ الَّتي تَحَلَّى بِها أَهلُ الجَنوبِ، ثُمَّ إنَّها كانَت رمزا وظفته الروائية لتستعيد به الذاكرة وتُبْرِزَ بِهِ الأَحاسيسَ والمَشاعِرَ القاطنة في القُلوبِ. فالخَطّارةُ هي الشبه الأنسب لذلك، فَكَما تَسحبُ هذه الآلةُ المياهَ مِن جَوفِ الصَّحراءِ فَتَسقي الواحاتِ وُخضرُ بِفَضلِها، فَعساهُ أَن يَكونَ هُناكَ شَيءٌ يُشبِهُها قَد يخرج الأحزان مِن القُلوبِ ليسوُ فيها الهُدوء والسَّكينَةُ الَّتي جَعلَت مِن شَخْصيَّات الرِّواية جافَّة وتَعِيسةً كَجَفافِ الصَّحراءِ مِن دون ماءٍ.

كما وقد دَلَّت هذه الآلةُ العجيبَةُ على الفَرجِ والأَملِ المنتظر أن يتحقق في يَوم مِن الأَيَّام، فَتَقول الرّوائِيَّةُ: «أما ستي هي الأُخرَى كانت بِحاجَةٍ إلى خَطّارَةٍ ما تَسحَبُ لَها الذِّكرى مِن قاعِ

[1] عمر علاحمو، أهمية الحفاظ على الحظارات وإمكانية إدماجها في صيرورة البناء الترابي بواحة نويغار المغرب مدارات تاريخية، دورية دولية محكمة ربع سنوات، عدد خاص، المجلد الأول، المغرب، سنة 2019، ص138.

[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص8.

المَجهول فيَفرح قَلبُها بِضَمانِ استِمرارِ سلالَة ابنِها الوَحيد»[1]فهذه الصناعة التقليدية تُحافظُ بِدورِها على الصُّمودِ والتَّصميم، فهي نَموذَج لِلوقوف أَمام كُلِّ التَّحدّيات مَهما كانت، كما تلهم الخطارة أفرادَ المُجتَمع لِلمُواجهة في كل الظروف بكل ثقة وإيمان بأنَّ أَحوالهم سَتَتَحَسَّن فِعلا، وكأنّها تَحُثّ الإنسانَ الصَّحراوِيّ على التَّمسُّك بِالأَمَل والتَّفاؤل، ما يَجْعَل روحَ المُثابرَةِ والطاقة الإيجابية أَكثرَ انتشارا بين أفراد المجتمع.

كما أنَّ آلةَ الخطارة تبرز لنا ثَقافَةَ أَهْلِ الصَّحراءِ، والتي تمكن في تحليهم بالمسؤولية والتِزامِهِمْ بها اتجاه بيئتهم. فَإِنَّ فِكْرَةَ سَحْبِ الماءِ مِن جَوْفِ الصَّحراءِ تُبْرِزُ مدى تَحَمُّلِ المسؤولية والالتزام بِها. فَمِن الأهمية إِذًا صون صناعة كَهَذِه، كَيْفَ لا وهي الَّتي بفضلها تخضر الواحاتُ فَتَكُونُ سَبَبًا في زرع الفرح والطاقة الإيجابية في النفوس.

وقد عَكست جُلُّ هَذِه الأدَواتِ التقليدية تراث وثَقافَةَ المجتمع الصحراوي، وأَبْرَزَتْ مدى مهاراته وقدرته على تَحْوِيلِ المادَّةِ الخامِ إِلى أعمال فنية فريدة من نوعها وذاتِ فائِدَةٍ، وعَبَّرَتْ عن مدى إِبْداعِهِ وصبْرِهِ ومدى تفطنه لِتَفاصِيلِ صَنْعِها، كما أَنَّ تَوْظِيفَ تِلْكَ الصِّناعاتِ داخِلَ الرِّوايَةِ عَمِلَ على الربط بين الزمن الماضِي والحاضِرِ، وبَيَّنَتْ لنا تارِيخَ المُجْتَمَعِ الصَّحرَاوِيِّ وأَفْكارَهُ، فَأَضافَتْ بِذلك جَمالِيَّةً لِلرِّوايَةِ وجعلتها أكثر واقعية للقارئ وجذبته إِلَيْها، وقد زادَتْ فيه شُعورَ الحَماسِ والشُّعورَ بالإبداع والعمل الجاد.

4- المباني والأماكن

تلعب المباني والأماكن الأثرية القديمة دورًا هامًا في حياة المجتمعات والشعوب، وترتبط بها ارتباطًا وثيقًا، وللجزائر الكثير من الثقافة العمرانية، ونخص بالذكر منطقة الجنوب الجزائري، وتم

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص20.

استخلاص بعضها من خلال قراءتنا للرواية والتي وظفت فيها أماكن ومبانٍ مهمة تتواجد في الصحراء، نذكر منها:

1-4- الزاوية

تعتبر الزاوية من بين الأماكن المهمة والتي يكثر الذهاب إليها في جنوب الصحراء. وقد أُطلق اسم الزاوية على «البناية ذات الطابع الديني والثقافي، حيث تُقام فيها الصلوات الخمس فضلًا عن الدروس التي تُلقى على الطلاب والمريدين»[1]، ولهذا المبنى تاريخ طويل وقصة مشوقة أدت إلى بنائه وتأسيسه. فأساس بنَّاءُ الزاوية، هي إذا «اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزًا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع، ويعلِّم فيه الطلبة ويتبرع للناس. لهذا المركز فيكبر وثرى و يتضاعف قصّاده ومريدوه، ويصبح اسم المتوفَّى (المرابط) عَلَى المكان، ويصبح المكان يُدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان»[2].

لقد وردت الزاوية في الرواية كونها ثقافة معمارية صحراوية، أين تذكر الروائية كيف ما زال أيوب يذكر حديث والدته عن الخادمة طاموا وأرضاعها له، وكيف أنها أخبرت الجدة أما ستي برغبتها في أخذ ابنها إلى الزاوية لعل حليب الخادمة يساعده ليشتد عوده وتقوى بنيته. فقد كانت الزاوية المكان الأول الذي يقصده أهل الحي عند وقوعهم في مشكلة أو مأزق يلزم له وجود حل، لتكون بذلك هي البناية التي تحمل رمز النصائح والإرشادات من قبل من يخدمون فيها والاستنجاد بهم من أجل الوصول إلى حل مسائلهم.

---

[1] عبد العزيز الفيلاني، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، ج1، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2002، ص148.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الثقافي، 1500، 1830، دار الغرب الاسلامي، ج1، ط1، سنة 1998، 262،263

كما أن الموظفين في الزاوية غير الموظفين في المساجد، «ويختلف موظف الزاوية عن موظفي الجامع في كثير من الوجوه، ذلك أن المسؤول الرئيسي على الزاوية في العادة هو المقدَّم مؤسسها أو المرابط نفسه أو ورثته».[1] فإن المسؤول على الزاوية هو المكلف بتسيير العمل داخل الزاوية.

أما من الناحية الهندسية، فقد كانت الزاوية مختلفة قليلًا عن بناء المساجد أو المدارس. و«الزاوية غالبًا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، وهي في الجملة قصيرة الحيطان، منخفضة القباب والعرضات، قليلة النوافذ. وإذا كان للزاوية مسجد، فهو في الغالب بدون مئذنة»[2]. ثم إن الجميل في بناء الزوايا أنها يمكن أن تحتوي بداخلها كل من ليس له ملجأ ولكل المحتاجين ومن لهم ظروفهم الصعبة التي جعلتهم يغيرون مكان تواجدهم، فاختاروا الزوايا لتكون رمزًا للبحث عن حلول الصعوبات التي تعيق الإنسان في حياته.

فإن هذا البناء العمراني يعكس البعد الثقافي لسكان الصحراء. فبمجرد رؤيتنا لهذا البناء المعماري سيخطر ببالنا حتمًا تذكر الأشخاص الذين عاشوا فيها، وكذا أفعالهم وكيف تعاملوا مع ظروفهم. والزاوية بهندستها المعمارية تعتبر رمزًا من رموز الهوية الوطنية والثقافية، فهي تربط الإنسان بالمكان وتزرع فيه روح الانتماء. كما يعكس هذا مدى تسهم التبرعات التي يقدمها السكان، مثل الأموال والمأكولات والألبسة، في إطعام الطلاب والمتمدرسين، وكذا إعانة من لجؤوا إليها والمحتاجين فيها.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،1500، 1830، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، سنة 1992، ص269-270.

[2] نفسه، ص، 270،296.

2-4- الزقاق والشوارع:

الزقاق من بين الأماكن الشعبية المتواجدة في الجنوب الجزائري، وغالبًا ما تتواجد داخل الأحياء الشعبية، وهو من أكثر الأماكن التي تدور فيها أهم أحداث الحي الشعبي. وقد ذُكر الزقاق في الرواية أكثر من مرة، وكانت أول حادثة في الزقاق حسب الرواية في لحظة خروج شخصية أم العيد و"أما ستي" مجتمعتين نحو مكانٍ ما، «ثم غادرتا الزقاق تحت أعين النسوة العجائز اللواتي رفعن الأيادي بالدعاء والتوفيق لأم العيد التي عانت الكثير قبل أن تُرزق بالولد»[1]. فيكون الزقاق شاهدًا على دعاء النساء وتأثرهن بأحوال بعضهن.

يتميز الزقاق بكونه مكانًا طويلًا وضيقًا نوعًا ما، تتلاقى فيه أبواب المنازل. <<تفتح الأبواب الرابطة في الزقاق الطويل، وتستجيب الأيدي لنداء يملأ القفة بشيء من الدقيق والسكر، لعل في العطية الثقيلة بركة تبرئ الصغيرة فيخف الثقل في قدميها ويغدو كباقي الصغار في سنه ويعدو>>[2]. فبالرغم من ضيق المكان، إلا أن ساكنيه كان لهم قلب كبير، ولم يؤثر ضيق الزقاق على أخلاقهم وكرمهم، يساعدون بعضهم البعض ويلتحمون فيما بينهم، ليكون ذلك الزقاق رمزًا للترابط بين أفراد المجتمع ورمزًا للجيرة الحسنة.

لقد كان الزقاق شاهدًا على أحداث أهل الحي الحميدة منها وغير المرغوبة، فهو المعبر الذي يعبر منه السكان يوميًا من كبارهم إلى صغارهم، فيعطينا هذا المكان رمزًا للضجيج الذي يضيف إلى يومنا نشاطًا وحماسًا، كما يكون سببًا في تذكر الطفولة، كما في الرواية فقد كان الزقاق المكان الأحب للأطفال من أجل ممارسة ألعابهم، فالمرور داخله سيكون بمثابة المرور داخل الذاكرة.

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص12.

[2] نفسه، ص25.

الفصل الثاني: تمظهرات الثقافة اللامادية في الرواية

1- الرقص والموسيقى.

2- التجمعات والمناسبات.

3- المعتقدات والأساطير.

4- الأمثال الشعبية.

1- الرقص والموسيقى:

لكل منطقة من مناطق العالم رقص وموسيقى تنفرد بهما عن بقية المناطق، كون هاتين النشاطين تم توريثها عبر الأجيال. فاستمرار إقامة الأعراس والمناسبات والأفراح يتطلب وجود الرقص والموسيقى، إذ أن حضورهما أمر لابد منه في كل مناسبة. وقد تنوعت الرقصات والموسيقى وتعددت في الجزائر، كونها بلدًا يطل على عدة ثقافات. ولهذا، فإن لها تقاليد مرتبطة بعدة أماكن، الأمر الذي جعل كل منطقة من الجزائر تتميز برقصها وموسيقاها الفريدة. ومنطقة الصحراء الجزائرية هي الأخرى تتميز بهذا التنوع الثقافي، ومن خلال ما قدمته لنا الروائية جميلة طلباوي في روايتها "قلب الإسباني"، استطعنا استدراك البعض مما يميز المنطقة من رقص وموسيقى.

1-1- الرقص الجماعي

الرقص الجماعي هو نوع من الرقصات التقليدية التي يتميز بتأديتها سكان الجنوب الجزائري. فهو رقص له أهمية خاصة، حيث «تتشابك فيه الأيدي وتقف عند الكتف، في إشارة للتماسك والاتحاد بين أبناء القبيلة الواحدة والمجتمع الواحد»[1] إن الوصف المقدم عن كيفية أداء هذا الرقص يرمي إلى وجود أبعاد ثقافية تعود إلى المجتمع الصحراوي، فإن هذا النوع من الرقص يحقق التلاحم ويدعو إلى التعاون ومساعدة أفراد المجتمع لبعضهم البعض. فتشابك الأيدي من أجل الرقص هو دليل على أن تلك الأيدي تتشابك حتمًا إن وقع أحد أفرادها في مأزق ما، وأنهم يتقاسمون أفراحهم وأحزانهم.

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص53.

الرقص عامة يمثل «شكلًا من أشكال الثقافة، ويمكن من خلاله قياس وعي الشعوب وإدراكها وتصوراتها. كما أنه يشكل مستودعًا لتراث وثقافات الشعوب، ويتحقق من خلاله التواصل الاجتماعي والانتماء لثقافة المجموعة»[1]. فيسعى كل فرد مشارك في تلك العملية الجماعية إلى إيصال رسالة مفادها أن الفرد في خدمة المجموعة، ويكون بذلك الرقص الجماعي وسيلة للتعبير عن ذات الفرد داخل المجموعة. هذا التعبير الذي وجد في الرقص الطريقة الأنسب لطرحه« فالفرد عندما يرقص مع الجماعة، إنما هو في حقيقة الأمر يذوب في هذه الجماعة ويؤدي وظيفته الاجتماعية»[2].

من خلال قراءتنا للرواية، اتضح أن الرقصات الجماعية في جنوب الجزائر متنوّعة ومتعدّدة من حيث الأسماء، إلا أن طريقة تأديتها تكون تقريبًا بنفس الطريقة. فتقول الروائية: <<تنوعت الرقصات في مدينته، وتنوعت تسمياتها من حيدوس وهوبي وعلاوي وماية، لكن الطريقة واحدة هي صف من الرجال وقد تحضر المرأة في صف من النساء الراقصات أو وحيدة ترقص في حلقة الرجال>>[3] وكأنها تفيد بأن ومع مرور الزمن والاختلاف القائم بين أفراد القبيلة، إلا أن الاتحاد والالتحام فيما بينهم قوي دوما، وأنهم يساندون بعضهم البعض رغم كل الظروف.

إضافة إلى اختلاف تسميات الرقص الجماعي، تختلف أيضًا مواسم وأوقات تأديتها. فالرقص «ظاهرة عامة في المجتمع البشري، ومن الممكن أن نجد في كل مجتمع طابع الرقص الديني والرقص للاحتفال بمختلف صور النشاط البشري من حراثة الأرض وإلقاء البذر وجمع

[1] أنوار البخاري، الرقص الشعبي بين التراث والمعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مجلد2، عدد12، جامعة محمد الأول، وجدة، سنة 2021، ص377.

[2] عبد العزيز الكبار، أشكال التعبير الثقافي في المجتمعات القبلية بالجزائر، الفروسية ولعبة العلاوي عند قبيلة أولاد نهار بمنطقة سيدو، مجلة روافد في العلوم الاجتماعية والإنسانية، تلمسان نموذجا، مجلد6، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، سنة 2022، ص177

[3] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص53.

الحصاد»[1] ومنه فإن أهل الجنوب الجزائري كما تشاركوا أفراحهم في أعيادهم ومناسباتهم الدينية وقاموا بختمها برقصاتهم الجماعية، اعتادوا أيضًا أن يتقاسموا الأعمال الشاقة فيما بينهم من حراثة الأرض وزرعها، وكذا جمع الحصاد، ويلجؤون إلى الرقص الجماعي كتعبير عن فرحتهم بغرس الأرض واستغلال خيراتها.

يشترك الصحراويون في الرقص جماعةً أثناء تأديتهم للأعمال الشاقة من أجل خلق جو من الحصاد وزرع روح العمل لدى الأفراد. فبالرقص، يجددون فيهم العزم ولكي لا يسود الملل بينهم، فالرقص فن يلجأ إليه الناس «للتخلص من حالات التوتر النفسي وإعادة إنتاج الطاقة التي بذلت في العمل اليومي المستمر»[2]، لذا فإن للرقص الجماعي فوائد نفسية، إذ أنه يبث الطمأنينة والهدوء ويريح الذهن من التفكير.

كما يستخدم الصحراويون الرقص الجماعي من أجل التعارف بين الرجل والمرأة بغية الزواج، وهذا ما تجلى في رواية "قلب الإسباني حينما أفادت الكاتبة بأن «لتلك الرقصات مواسمها أيضًا بعدًا اجتماعيًا يُقال إن أغلبها ما وُجد إلا من أجل تعارف النساء والرجال بغرض الزواج»[3]. وبالرغم من التطور الحاصل فيما يخص وسائل التواصل وكذا مواقع التعارف، إلا أن الرقص عند أهل الجنوب يحدد بعض الصفات التي يبحث عنها كل من الرجل والمرأة في شريك حياته. فمثلاً، نجد أن أغلب النساء يذهبن إلى الأعراس ليخترن زوجات لأبنائهن، فحين ترقص الفتيات جماعةً يمكن للأمهات التمييز بين الرشيقة ومن لا.

[1] أنوار البخاري، الرقص الشعبي بين التراث والمعاصرة، ص377.

[2] عبد العزيز الكبار، أشكال التعبير الثقافي في المجتمعات القبلية بالجزائر، ص176.

[3] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص53.

الرقص الجماعي إذًا عملية ممتعة يلجأ إليها الرجال والنساء من أجل الترفيه والتخفيف من الصعوبات اليومية، فهو فن يبعث بالفرح والسرور داخل الأنفس، إضافة إلى أنه رمز للوحدة والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع. ويمكن للروائية أن تكون قد أدرجت هذا الفن الذي يتحلى به الصحراويون من أجل الكشف عن التلاحم الذي كان قائمًا بين شخصيات الرواية وعن الحالة الإيجابية التي كانت تسود بينهم. فالرقص عامةً هو رمز للهدوء والطاقة الإيجابية. ثم إن ذكر الرقص الجماعي في الرواية عمل على إبراز جمال الثقافة الصحراوية وكذا الهوية الوطنية، والحث على الحفاظ على مثل هذه الثقافة الجميلة.

1-2- العزف على آلة القنمبري

تُعَدُّ آلة القنمبري واحدة من الآلات الموسيقية التي يمتلكها سكان الصحراء الجزائرية، وهي «آلة وترية مصنوعة من الجلد والخشب تُستعمل في أنغام موسيقى القناوي»[1]. كانت الموسيقى القناوية حاضرة عند الصحراويين في سهراتهم، حسب ما ذكرته جميلة طلباوي في روايتها "قلب الإسباني". حيث شرعت الكاتبة في وصف إحدى شخصيات الرواية الذي عُرِفَ ب «إدمانه على الكحول وسهراته مع الحشاشين، بدعوى أنهم يستمتعون بأغاني الديوان التي تحكي مأساة العبيد الأفارقة مع كل نغمة تفيض من القنمبري»[2].

توظيف الموسيقى القناوية في الرواية يذهب أساسا من أجل وصف الحالة النفسية للشخصيات ودعوة القارئ للتعمق أكثر في أحداث الرواية. فالموسيقى القناوية بنغماتها تحكي

[1] بوعافية أحمد، توظيف تراث إقليم الساورة بصحراء الجزائر في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة تطبيقية تحليلية رواية الخابية، جميلة طلباوي، مجلة آفاق علمية، مجلد 11، عدد3، جامعة الجزائر 2، سنة 2019، ص411

[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص137.

معاناة الأفارقة والعبيد، ومن خلال هذا، يمكننا استنتاج الحالة الاجتماعية للشخصية. استطاعت الكاتبة أن تضفي نوعًا من الواقعية على النص وتوفر تفاصيل زمانية ومكانية.

للموسيقى دور هام في استقطاب السياح، فقد « أدت والأغاني الصحراوية الجزائرية دورها هاما في التنمية المحلية للمنطقة، خصوصًا على المستوى السياحي الذي خلق حركة ديناميكية على مستوى الاقتصاد الفكري والثقافي والتجاري»[1]. ساعدت جميلة طلباوي في روايتها على إظهار الموسيقى الصحراوية والدعوة إلى اكتشافها والاستماع إليها، ما ساهم في خدمة الاقتصاد الجزائري.

كما أن البعد العاطفي للموسيقى المتمثلة في العزف على آلة القنمبري عزَّز الجوانب العاطفية من خلال الإيقاع الحزين الذي أنتجته هذه الآلة، مما أضاف بعدًا عاطفيًا وساحرًا للمشهد ونقل مشاعر الشخصيات بشكل أقوى. «فالموسيقى فن صوتي يتجه إلى العواطف مباشرة، يثير فيهاحزنا وسرورا»[2].

تُعتَبَر الموسيقى الصحراوية جزءًا مهمًا من ثقافة وتراث الجزائر وبذكرها موسيقى القناوي، دعت الكاتبة القارئ للتعمق في فهم البيئة الثقافية والاجتماعية التي تجري فيها الأحداث. كما أن الموسيقى الصحراوية ساعدت كثيرًا في بناء الرواية، مما جعل القارئ يتفاعل معها. كما أنها كانت وسيلة للتعبير عن الهوية الشخصية للشخصيات وتفضيلاتهم الموسيقية، وقدمت معلومات عن تكوينهم الشخصي والنفسي.

العزف على آلة القنمبري سلط الضوء على الفروق الاجتماعية بين الشخصيات، حيث مثَّل هذا النوع من الموسيقى عن طبقة اجتماعية فقيرة، ذكرت الكاتبة أن أنغام هذه الآلة تعبر عن

---

[1] نسيمة كريبع، تراث الإمزاد عند قبائل الإموهاغ ودوره في التنمية السياحية، حوليات التراث، المركز الجامعي، العدد16، الجزائر،2016، ص88.

[2] نفسه، ص82 .

مأساة العبيد الأفارقة، وأن الشخصية التي كانت تستمتع بالإيقاع القناوي اتصفت بحالة اجتماعية مزرية داخل الرواية. كان لهذه الشخصية مقهى لا يحقق أرباحًا، مما يعكس الحالة الاقتصادية الصعبة لشباب الحي. بذلك، خدمت الموسيقى الرواية بشكل كبير، بإبرازها الأبعاد الفكرية والاجتماعية والنفسية للشخصيات.

2- التجمعات والمناسبات

تعَدُّ التجمعات والمناسبات جزءًا لا يتجزأ من الحياة في الجنوب الجزائري، وهي متنوعة وتشمل المناسبات الدينية والوطنية. هذه المناسبات تحمل قيمًا ومميزات تعود بالفوائد على أفراد المجتمع الصحراوي، وتعتبر من العادات والتقاليد الحميدة التي لا يمكن الاستغناء عنها و نذكر منها:

2-1- يناير

يناير هو رأس السنة الأمازيغية، وهو مناسبة وطنية يحتفل بها الشعب الجزائري عامةً وكذلك المجتمع الصحراوي، يسمى يناير عند أهل الجنوب بـ"حجوزة"، وهو يوم مميز عندهم في تلك الليلة، يتم إعداد أشهر الأطباق والمأكولات احتفالاً به وقد تم الحديث عن هذه المناسبة في الرواية من خلال شخصية أيوب، حينما كان «يتذكر كيف كان يجد الملاذ الآمن في حضن شقيقته عندما يسيطر عليه الخوف في ليالي الشتاء الباردة. بعد أن يحتفلوا بـ"حجوزة"، ليلة رأس السنة الأمازيغية، كانوا يتناولون "المردود "المحلى بالتمر، وبعدها يعثرون على نواة التمر داخله»[1].

فقد كان تذكر مناسبة يناير كثيرًا ما يستحضر الأيام السعيدة والطفولة الجميلة التي عاشها أيوب برفقة عائلته. وكان سببًا في تذكره لأشهر الأطباق التقليدية مثل المردود والحلويات التي

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص39.

أحبها الكبار والصغار. إن توظيف ثقافة معنوية كهذه داخل الرواية يشير بلا شك إلى التفاؤل والمستقبل الجميل الذي كان ينتظره، حيث يرمز يناير إلى «الاحتفال بالأرض والزراعة، تفاؤلاً بعام خير وغلة وفيرة وبمناسبة سعيدة. إن مرجعية الاحتفال تعود إلى تقويم فلاحي ظل الفلاحون يحتفلون به حتى اليوم»[1]

فيناير، إذا كان سببًا في توضيح تلك التغييرات الطارئة في حياة الإنسان بين ماضي جميل وانتظار مستقبل زاهر، فعندما يُذكر يناير في الحاضر، وتتغير الحالة النفسية للإنسان، ويتجدد الأمل الذي لا طالما تمسك به، بعد صراعه مع تقاليده القديمة وحداثته، وقد تجلت ثقافة الاحتفال برأس السنة الأمازيغية في الرواية بصورة الحنين إلى الماضي، وكانت وسيلة للتعبير عن مشاعر الحب.فمن منا لا يرغب بالعودة إلى طفولة مليئة بالحنان والدفء، خاصة في يوم يناير، حيث يعتاد الأهل على أن يجتمعوا حول طاولة مليئة بالأطعمة ويبدؤون بالضحكات والمزاح. ومن المميز أن نحتفل بهذه المناسبة داخل بيوت الصحراويين.

يُعتبر يناير يومًا لتذكر الفقراء والمحتاجين، حيث اعتاد الشعب الجزائري على توزيع اللحوم والمواد الغذائية على المحتاجين، وكذلك الأمر في الجنوب. وقد ظهر هذا العطاء من خلال الرواية، فقد كانت الأم الصحراوية تخبئ نصيبًا من عشاء يناير، ثم تُخبر أبنائها بأنه نصيب الغولة، وعندما «كبر أيوب، أدرك أن والدته كانت تبقي ذلك الصحن كنصيب للفقراء»[2].

[1] صحرة شعوبة، خضرة براد، المؤتلف والمختلف في الفضاء الطقس الاستقلالية يناير طقسنة الثياب وحتمية التغير قراءة أنثروبولوجية في الدلالات والوظائف بالمجتمع، مجلة الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مجاد6، عدد2، جامعة قسنطينة2، عبد الحميد مهري، سنة 2020، ص491.

[2] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص46.

إن يوم يناير كان كفيلا لتقديم الشعب الصحراوي بأبهى حلة، إذ أظهر هذا اليوم مدى كرمهم وأخلاقهم الحميدة، وكيف أنهم يحبون بعضهم البعض. فهو يُعتبر رمز سعادتهم والاطمئنان، حيث يستمر الاحتفال به عند أهل الجنوب إلى ساعات طويلة من الليل، يتم فيها بروز أجمل القصص والحكايات الشعبية. ويشترط لهذا الاحتفال،غياب الأطفال الصغار في تلك السهرات، فيُخوفونهم بالأساطير المخيفة لمنعهم من «السهر في تلك الليلة الاحتفالية، التي يطول فيها سهر العائلة حول صينية الشاي وطبق المكسرات»[1].

2-2- التويزة

التويزة، وهي ثقافة لا مادية من الثقافات التي كانت حاضرة داخل المجتمع الصحراوي، وتُعدّ هذه الأخيرة من أجمل العادات والتقاليد. فمعناها أن يشترك مجموعة من الأشخاص وأن يتعاونوا فيما بينهم لإنجاز عمل ما، فيتقاسمون مشقة العمل دون البحث عن مقابل، لأن همهم الوحيد هو مساعدة بعضهم البعض. لتُعتبر هذه العملية كواحدة من أبرز أشكال التضامن الاجتماعي في صحراء الجزائر.

وتقوم هذه العملية الجماعية على عدة ميادين، منها ما يخص الفلاحة وإعداد الطعام وأعمال عدة. وقد تجلت في الرواية كعمل جماعي تقوم به النساء الصحراويات في فتل وإعداد الكسكس، وذلك من خلال الوصف الذي قدمته الكاتبة عن كيفية فتل الكسكس.«هكذا تهمس خالتي حادة للنسوة المجتمعات في حوش بيتهم لفتل الكسكسي في تويزة ورثتها عن الجدات»[2]. فتحضر كميات كبيرة من الكسكس وتخبأ على شكل عولة تنجيهم من الجوع حين يشتد البرد في وقت لاحق. وتستمر النساء بتحضير الكسكس بتفانٍ واجتهاد، معبِّرات عن التضامن والتعاون فيما

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني ، ص41.

[2] نفسه ، ص31.

بينهن، حيث تملأ الحوش بروح المحبة والتآلف، وتتجسد قيمة التواصل الاجتماعي والعمل الجماعي في هذا النشاط الذي يجمعهن ويجعلهن يشعرن بالانتماء إلى بيت واحد، يملؤه الدفء والسعادة والتآلف.

وغالبًا ما تُقام التويزة كثيرًا عند سكان القرى والمداشر، لأن الدخل يكون ضعيفًا في تلك الأماكن. فحيثما «يوجد سكان القرى والمداشر، يريدون قضاء حوائج الناس سواء بالتعاون على جني المحاصيل أو مساعدة المرضى بجمع التبرعات لهم، أو بالتعاون من أجل مساعدة المقبلين على الزواج أو بناء البيوت للفقراء والمعدمين، أو بناء المساجد لإقامة الصلاة»[1].فالتويزة إذًا هي رمز للإنسانية والعطاء، وكذلك كلمة تعبر عن ذلك الجهد الكبير الذي يبذله الفرد من أجل زرع البسمة على وجوه الآخرين، وكذلك حب الأخ لأخيه. كما وذكرتها في الرواية، حيث تعبر عن مدى إخاء السكان وتمسكهم بالدين ومبادئهم، وتبين مدى كرمهم.

ثم إن استمرار انعقاد ثقافة كالتويزة ستكون كفيلة لبناء مجتمع يسوده حب التعاون والاستقرار والترابط والتلاحم بين أفراده. لأن التويزة لطالما كانت سببًا في إدخال السرور والفرح إلى من عانوا من الضعف المادي والمعنوي. فأصحاب هذه العملية يتجهون دومًا لمساعدة الفقراء وذوي الحاجة وإدخال البهجة إلى قلوبهم. في النهاية، يتضح أن الجنوب الجزائري محطة لثقافات مميزة تتكشف لنا من خلال رواية "قلب الأسباني "لجميلة طلباوي، وتلك الثقافات التي واجب المحافظة عليها، فهي من أهم القيم التي تساهم في بناء المجتمع وتعزز الترابط والتضامن الاجتماعي.

[1] خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري التويزة والوزيعة أنموذجا، ص106.

3-2- العقيقة

هي أحد الطقوس التي يقوم بها المسلمون عند ولادة مولود جديد، ولهذا الطقس مكانته أيضًا عند الجزائريين. وعلى إثر هذه المناسبة، يتم «ذبح شاة على المولود يوم السابع من ولادته، سواء كان ذكرًا أو أنثى»[1]. تقام العقيقة على ذبح الشاة كتعبير عن الشكر لله على نعمه البنين، ثم تعبيرًا عن الفرحة والامتنان بقدوم هذا الطفل. فقدوم الأولاد إلى الحياة هو حدث مهم وعظيم عند المجتمع الإسلامي، فكان لابد من مشاركته تلك الفرحة مع الآخرين، لتقام وليمة يتم فيها طهو شاة مذبوحة بحضور الأهل والأقارب. ثم يتعقب هذه العقيقة أو الوليمة الدعاء للمولود بأن يلاقي في أيامه القادمة كل الخير وأن يملأ الله قلبه بالفرح والسرور.

وقد التزم الناس في الجنوب الجزائري بإقامة العقيقة والاحتفاء بالمولود الجديد، فيتم ذبح كبش أو شاة سمينة تقاسم لحمها مع الأقارب والجيران، وهو الأمر الذي ساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية وروح التعاون والوحدة في المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، يعطى الأقارب والجيران نصيبًا من وليمة العقيقة من لحوم ومأكولات متنوعة للفقراء والمحتاجين، لتكون بذلك هذه العملية رمزًا للسخاء عند أهل الصحراء، وتبرز لديهم الجانب الأخلاقي مما يجعلهم يعملون على تعميم البركة والرحمة بين الناس. ثم إن للعقيقة دلالات منها أن للإنسان قيمة كبيرة وأن قدومه للحياة شيء وجب ترسيخه بواسطة فعل الخير والتصدق. فمن أهم الحقوق التي يمكن أن تكون للطفل وللإنسان بصفة عامة هي حصوله على اسم جميل يلازمه طوال حياته. لذلك، يجب على الآباء اختيار أسماء مناسبة لأولادهم. أما عن وقت تسمية الطفل، فتجوز في يوم ولادته أو في يوم عقيقته على حد سواء، ومن المعتاد أن يُقام العقيقة للمولود في اليوم السابع من ولادته، وفيها يتم اختيار الاسم

[1] جديد حنان، حقوق الطفل بين الشريعة الاسلامية والقانون الجزائري، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد6، جامعة غرداية، سنة 2019، ص110.

المناسب له. إذاً، يوم العقيقة هو يوم يحدد فيه أهم شيء للإنسان، وهو اسمه، وبالتالي، يكون للطفل في هذا اليوم انطلاقة جديدة.

كما أنه غالبًا ما نرى أن ولادة الذكور تحظى دومًا بإقامة العقيقة، حيث يعتبر الذكر وريثًا لوالده وجده وحاملًا لكنيتهما، وبه يشد الوالدان أزرهما. وعلى الرغم من ذلك، فإن الأمر مختلف تمامًا عند أهل الصحراء، فقد اشتهروا بالعدل الذي يقيمونه بين البنت والذكر. وتبين لنا من خلال الرواية أنهم يتميزون بالمساواة بين الذكر والأنثى، وأن الفرحة بقدومهما إلى الحياة هي نفسها في فالعقيقة هي رمز للعدل والمساواة. ويظهر لنا أن أهل الصحراء هم من ذوي المساواة بواسطة العقيقة، حيث يتمكنون من معرفة البعد والانفتاح الديني لسكان الجنوب، وكذلك مدى تشبعهم بالقيم الإسلامية، وتبين لنا مدى كرمتهم وتمسكهم بالعادات والتقاليد والحرص على توارثها جيلاً عن جيل. فإقامة العقيقة تكون بعد ابتهاج وفرح كبير بقدوم المولود، ومنه التعرف على مدى حبهم لأولادهم. تكون العقيقة حدثًا مهمًا من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية.

3- المعتقدات والأساطير

تحظى المعتقدات والأساطير بمكانة لا بأس بها لدى العديد من الشعوب، حيث أصبحت من الأمور الجزئية التي يتم تصديقها والاعتماد عليها في الحياة اليومية فالمعتقد هو« إيمان ناشئ من مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا»[1] ، وقد

1 غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، تر: زعتير عاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، سنة 2012، ص17.

استعانت الأمم بالمعتقدات في مجالات عديدة مثل العلاج والزواج وغيرها من الأمور، وتتميز هذه الأخير بكونها « خبيئة في صدور الناس»[1] أي أن المعتقدات غالبا ما تكون دفينة في الأنفس.

الأساطير هي الأخرى من الأمور الوارد وجودها عند أغلبية الناس فالأسطورة هي «حكاية مدهشة خارقة معادة، مقدسة مقدم أدوارها الآلهة أو أيضا قيما قيما ممثلين شخصيات الأسطورة، كونها تتضمن تدخلا قويا لكائنات أقوى وأرفع من البشر» [2] فبمجرد ذكرنا للأسطورة فإننا نتحدث عن حكاية خارقة للعادة.

وكانت منطقة الصحراء من الأماكن التي توجد فيها الكثير من المعتقدات والأساطير قد وظفت الراوية لجميلة الطلباوي هذه المعتقدات والأساطير بشكل بارع، من خلال زيارات للزوايا والأضرحة، بالإضافة إلى الأسطورة الشهيرة عن الغولة.

1-3- زيارة الزوايا والأضرحة

لازالت زيارة الزوايا والأضرحة مستمرة حتى يومنا هذا، وتحظى بقيمة في المجتمعات العربية والإسلامية كوسيلة للبحث عن حلول للمشاكل، نظرًا للنصائح والخدمات التي تقدمها الزوايا وشيوخها، الذين يعتبرون أصحاب العلم والمعرفة بأمور الدين والدنيا وتعتبر الأضرحة مكانًا مقدسًا لدفن الأولياء والصالحين، الذين يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع بسبب علمهم وزهدهم وعملهم الصالح.

---

[1] محمد جوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة ، ط1، سنة 1978، ص43.

[2] صالح قيوج، سعيدة رحمانية، الأسطورة في الموروث التبعي الجزائري بين القيم التربوية والأبعاد الدينية، مجلة سيميائيات، جامعة 8 ماي، قالمة، عدد2، سنة 2023، ص599.

وتُعتبر الأضرحة مكانًا مقدسًا لدفن الأولياء والصالحين، الذين يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع بسبب علمهم وزهدهم وعملهم الصالح. وكان وجودهم دافعًا لتشييد الأضرحة فوق قبورهم، حيث كان لوجودهم دورًا هامًا في الإصلاح وتزويد الناس بالعلم والمعرفة.

ومن خلال رواية جميلة طلباوي، يظهر أن المجتمع الصحراوي كان يحترم ويقدر خدام الزوايا، حيث كانت تُقدّم لهم صدقات وهبات في تقدير لخدماتهم. تقول الرواية، من خلال شخصية الشهبة، أنها كانت « تقوم بأعمال شاقة مقابل أن يُطعموها ويُكسوها، وترسل لعائلتها بعض ما يُجود به الزوار ضريح الولي الصالح في الزاوية من صدقات»[1].

فقد تميزت زيارة الزوايا والأضرحة بتقديم المؤونة والألبسة، التي تجمع و يتم توزيعها لاحقًا على المحتاجين والعاملين في الزوايا، ولعل السبب وراء هذه الزيارات عند أهل الصحراء يعود إلى المميزات التي كانت تتمتع بها الزوايا والأضرحة. فكانت تلك الملاذ«التي يلجأ إليها الهاربون من العقاب والقتل، مهما كانت جرائمهم، فقد كان الولاة والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزواية والضريح»[2]، فيعتقدون أن الفارّ إلى هذا الملاذ يكفي لحمايته من العقوبة ولا يمسه أحد دون إذن. وبذلك، تكون زيارة الزوايا والأضرحة رمزًا للبحث عن الأمان والخلاص من المشكلات التي يواجهها الإنسان.

وقد اعتاد سكان الجنوب على الاستفادة من خدمات خدام الزوايا، حيث يرون فيهم مصدرًا للخير أيضًا ومن خلال الرواية، يظهر ذلك جليًا، حيث انتشرت شهرة الخادمة بقدراتها في العلاج، فأصبحت المكان الأول الذي يقصده السكان لحل مشاكلهم هو الزاوية. وعندما قرر والد أيوب أخذه إلى الخادمة

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص15.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص271.

ترمز هذه الزيارات للأضرحة والزوايا بلا شك إلى ذلك البحث عن السلام وعن الحلول المختلفة لمشاكل الناس. وبناء الأضرحة يبرز الجانب الفكري لأهل الجنوب، حيث يتوجهون لأصحاب العلم والمعرفة، ويعكس حبهم الكبير لهم. وعلى الرغم من جميع الطقوس، تساهم هذه الزيارات في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.

2-3- أسطورة الغولة

إن الغولة هي أسطورة شائعة في الجزائر، وقد تم تجسيدها في رواية "قلب الأسباني" كواحدة من الأساطير المنتشرة في الصحراء الجزائرية. وتعتبر هذه «الشخصية غريبة الأطوار، تتغذى على لحوم البشر، يتعرفون على ملامحه من خلال الآباء الذين يخيفون أبنائهم به»[1] عبر تحذير آبائهم لهم منها. وتحمل عدة قصص خيالية، وتعتبر غاية تربوية، حيث يتم استخدامها لتهذيب سلوك الطفل عبر الطاعة المطلقة لئلا يتعرض لخطر الغولة.

ويختلف الحديث عن أسطورة الغول، فمن المعروف عند العرب أن أسطورة الغول تصف أنها «حيوان خرافي، فيزعمون أنه كريه المنظر شنيع الخلقة، يألف الغيران الموحشة والفيافي المقفرة ليضلل الناس ويلهو بالجماجم. ويدعي أبطالهم أنهم شاهدوه وحاربوه وانتصروا عليه. وقد أولع تأبط شرا بوصفه والتحدث عنه في أشعاره»[2].

وقد تجلى ذكر هذه الأسطورة عند أهل الجنوب من خلال الرواية، أين اتضح أن الأم الصحراوية كانت تلجأ إلى الاستعانة بالغول من أجل تخويف أولادها. كانت تملأ طبقًا من المردود

[1] علي شطي، التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، ص134.

[2] عايدة سعدي، الرمز الأسطوري في سيقيات أبو الطيب المتنبي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة محمد الشريف ساعدية، سوق أهراس، مجلد 11، عدد1، سنة2022، ص532،553.

مليئًا بـ«اللحم وتضعه في ركن من المطبخ، وتقول إنه نصيب الغولة التي تجوع في ليلة حجوزة.»[1] فالغرض هنا هو منع الأطفال الصغار من السهر ليلاً وتنبيههم إلى الاستماع لنصيحة الآباء والكبار.

إن توظيف الصحراويين لهكذا أسطورة يعود بالفائدة عليهم وعلى أطفالهم، لتكون هذه الأسطورة رمزًا للتوجيه والتنبيه بدل استخدام الضرب، الذي يؤدي إلى حالة من الفزع والمرض لدى الأطفال. كما أن الغولة تساهم في إطلاق مخيلة الأطفال، حيث لا يعرفون شكلها بل يتخيلها كل طفل بشكل خاص، بالإضافة إلى الترفيه الذي تضيفه حكاية الغولة.

4- الأمثال الشعبية

تعتبر الأمثال الشعبية من الأقوال التي قيلت بعد تجربة في الحياة، خاضها أناس وحكوا تلك التجارب بهذه الأمثال. ولعل الجزائر من البلدان التي لها أمثال شعبية كثيرة، ونخص منطقة الجنوب بهذه الميزة، حيث اتضح من الرواية أن لها مكانة كبيرة عند سكان الصحراء. فالمثل كما يعرفه ابن عبد ربه هو «الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ولم يسر شيء مسيرها ولا عمَّ عمومها حتى قيل أيسر من مثل»[2]. ويقول أيضًا عبد المجيد فطامش في هذا الصدد بأن المثل «قول موجز سائر، صائب في المعنى، شبه به حالة حادثة بحالة سالفة[3].وقد جاء في الرواية.

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص40.

[2] لطروش عائشة، القيم الاجتماعية والأخلاقية في الأمثال الشعبية في الجزائر، مجلة دراسات معاصرة المركز الجامعي، تيسمسيلت الجزائر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، مجلد4، عدد2، سنة 2020، ص45.

[3] نفسه ، ص45.

1-4- أمثال حول الأخوة.

من خلال الرواية، اتضح أن المجتمع الصحراوي يحمل من الأمثال الكثير، تلك الأمثال التي تحمل في طياتها معاني ودلالات عميقة، راحت تتبنى على إثرها أحداث مهمة في الحياة. وراح الفرد من خلالها يسير حياته، ولعل أبرز ما قيل عن الأخوة على لسان شخصية أم العيد: «الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيره»[1]. مقولة جعلت من الأخ يزداد حبًا لأخيه ويسعى جاهدًا لإخراجه من مشاكله وتوطيد وده، وكذا تضحيته من أجل أن يحظى بحياة سعيدة.

فإن وراء هكذا قول أبعاد كثيرة، الأول منها ديني فالقول عبارة عن دعاء إلى الله من أخ يتمنى الخير لأخيه، بل ويتمنى أن يكون بحال أفضل من حالته. والدعاء وسيلة للتقرب من الله عز وجل. إن هذه الأحاسيس العميقة التي تربت على مقولة "الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيرة "جعلت من شخصيات الرواية تتساءل، منها شخصية أيوب، الذي لاحظ كيف يتأثر والده بهذه المقولة لدرجة أنه ينسى مشاكل بيته ويهتم بمشاكل أخيه وأخته. فراح يسأل «هل أنا محظوظ لأنه ليس لدي أخ أضحي لأجله انطلاقًا من المقولة التي ترددها على أسماعنا دائمًا: "الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيره»[2].

ومقولة "الله يجعل أخويا سلطان وأنا وزيره" لا تعني بالضرورة أن يكون الأخ من أمك وأبيك، فقد يكون ذلك الأخ صديقًا مقربًا أو أحد الأقارب الذي يمكن اعتباره كأخ حقيقي. ثم إن توارث هذه المقولات ليس بداعي العبث، إنما هي قصة خاضها من سبقونا وخرجوا منها بنتيجة وطبقوها بمثل يُقال في الأوقات المشابهة للوقت الذي قيلت فيه أول مرة، وقد زرعت هذه المقولة مبدأ الاحترام وقللت من النزاعات العائلية، كما ساعدت على توجيه سلوك الأفراد وتعزيز القيم

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص39.

[2] نفسه، ص68.

الإيجابية في المجتمع. وهذا ما يبرز الجانب الثقافي لمكان الصحراء، فالمثل عامة يمثل مظهرًا هامًا من مظاهر الحضارة الإنسانية لأنه يواكب الحياة ويعبر عن واقع حال المجتمع، «يدخل في خصوصيته ويميزه عما عاداه من المجتمعات يعكس مفاهيمه للحياة والموت والعلاقات الاجتماعية والطبيعية والطقس والفصول والزراعة والحرف اليدوية والعادات والتقاليد والأعراف»[1].

كما تستعمل الأمثال الشعبية لإبراز مضامين التراث بغية تعريفنا على تاريخ الشعوب ونمط عيشهم وتعاملهم مع أمور الدنيا، «وهي تدلنا على عادات سكان منطقة أو بلاد ما، كما تعرفنا أيضًا على تاريخهم ونمط حياتهم وتفكيرهم ومعتقداتهم»[2].

ثم إن توظيف الروائية لمقولة كهذه يشير إلى مدى التلاحم الحاصل بين شخصيات الرواية ووضوح الذهنية التي كانوا يحظون بها، مما يجعل القارئ يغوص داخل الرواية ويتلقى موعظة ترمي إلى احترام الأخ والتضحية من أجله. فهو أمر يعزز الروابط بين المجتمعات وينشر المحبة والأخوة، من جهة أخرى تُبرز الرواية جمال الثقافات الصحراوية وبعدها الديني والفكري، فحب الأخ لأخيه من الأمور التي حثّ عليها ديننا الحنيف، ومنه يمكننا الاطلاع على البعد النفسي والذي يتجلى في ذلك الحب العميق الذي يكنّه الأخوة لبعضهم البعض.

2-4- أمثال حول الصبر

للصبر أمثال كثيرة جاءت بعد مواقف وتجارب متنوعة مع الحياة، وكان الصبر من الصفات التي يتحلى بها الصحراويون في الجزائر وقد جاءت بعد التزامهم بمقولة خلّدها الأجداد،

[1] رامي ناصر، الأمثال الشعبية القروية في التاريخ الريفي"حكمة الأجداد للأحفاد" مجلة أنثروبولوجيا الجامعة الإسلامية في لبنان، مجلد، عدد، سنة 2019، ص220-221.

[2] أمينة ابن باجي، شعيب مقنونيف، الأمثال الشعبية والحكم والأقوال في تلمسان وبعدها الديني، دراسة أنثروبولوجية، المركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ، علم الإنسان والتاريخ ، جامعة تلمسان، مجلد18، عدد2، سنة2022، ص106.

نذكر منها ما جاء في رواية "قلب الإسباني "على لسان شخصية أم العيد، تلك الأم التي كانت تعظ بناتها ف «تهمس في آذانهن "اللي يصبر ينال"»[1]، هذا المثل يُقال «من باب المواساة والصبر بقضاء الله وقدره، فالصبر ، ينال مراده وأجره العظيم من الله. ونجد العديد من النصوص القرآنية التي شجعت على الصبر وذكرت جزاء الصابرين»[2].

بالرغم من كل ما لاقته المرأة من معاملة سيئة، ظلت مؤمنة بأن الصبر له مخارج كثيرة. ومن هنا استطعنا التعرف على المرجعية التي تأتي عليها المرأة الصحراوية وما مدى تشبعها بدين الإسلام، فمن صفات المؤمن أن يكون صبورًا على مشاق الحياة.

فالأمثال إذًا لها دور هام في بناء مجتمع سليم من خلال نقلها لتجارب الآخرين وخبراتهم من الأجيال السابقة إلى اللاحقة، ولذلك تؤثر مباشرة في سلوك الإنسان عن طريق تقديم مجموعة من المعارف وقواعد السلوك العامة، «الأمثال باب من أبواب القول، وفي الوقت نفسه ميدان من ميادين التربية»[3]. فهناك التربية بالقدوة والتربية بالقصة والتربية بضرب الأمثال، إضافة إلى وجود الأمثال التعليمية، توجد أمثال وطنية وأخلاقية تهذب من التاج وتحث على الالتزام والتحلي بالأخلاق الحسنة، مثل مثلنا "الصابر ينال". ثم إن توفر مقولة كهذه عند أهل الجنوب يرينا مدى إيمانهم وشجاعتهم في مواجهة الصعوبات، فالرواية توضح كيف كان من الممكن أن تصل شخصية أم العيد إلى حالة سيئة بعد سماعها كلمات جارحة لو أنها لم تلتزم باتباع تلك المقولة التي استطاعت أن تخرجها من حالتها تلك.

---

[1] جميلة طلباوي، قلب الإسباني، ص21.

[2] عماريش حنان، العنف الرمزي ضد المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية "دراسة محتوى البعض من الأمثال الشعبية الجزائرية"، مجلة الصوتيات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة2، الجزائر، مجلد 20، عدد3، سنة 2018، ص793.

[3] نفسه، ص763.

وفي ختام هذه الدراسة التي توقفت عندها على تجليات الثقافة الصحراوية في رواية "قلب الاسباني لـ "جميلة طلباوي "سأقد ببعض الاستنتاجات والملاحظات والتي خلصت إليها من خلال تتبع تجليات الثقافة الصحراوي في الرواية، كونها لعبت دورا في الرواية فيها، كما يتضح أن الثقافة تنقسم عموما إلى مادية وغير مادية حيث تضم الثقافة المادية كلا من البنايات والعمارة، الأكل والمشروبات، الصناعات التقليدية والحرف، الألبسة...إلخ، وتضم الثقافة اللامادية كل من الاغاني والرقص، الأمثال والحكم، الأساطير والمعتقدات، التجمعات والمناسبات...الخ.

من مظاهر الثقافة المادية الموظفة في رواية "قلب الإسباني" نجد المأكولات والمشروبات المتمثلة في كل من الكسكس، البغرير، الشاي ،والتي أفادت بدلالات أبرزها التآزر والتعاون كما كانت سببا في ربط ماضي الشخصيات وحاضرها، ونجد أيضا اللباس وأدوات الزينة متمثلة ليزار، الحايك والحناء هذه العناصر أدت إلى ظهور المرأة الصحراوية بأبهى حلتها، من مظهرها الخارجي ثم إن الصناعات اليدوية التقليدية كالعكّة والنسيج والخطّارة هي رمز للكفاءة والمهارة التي اتصف بها أهل الجنوب إضافة إلى صبرهم الطويل في الاشتغال على هكذا أدوات، وتظهر هذه الأدوات مدى تمسكهم بأرضهم، أما فيما يخص العنصر الرابع والمتمثل في كل من المباني والأماكن كالزاوية والزقاق فقد أعطت في الرواية رمزا مفاده العلم والتعلم وتلقي النصيحة إضافة إلى إظهار الجيرة الحسنة في صحراء الجزائر، والعودة بالشخصيات إلى ذكريات الطفولة.

ومن مظاهر الثقافة اللامادية والواردة في الرواية نجد كلا من الرقص، والموسيقى من خلال الرقص الجماعي والعزف على آلة القنمبري هي فنون تعبر بشكل غير مباشر عن حب الفرد لجماعته ومساندته لها وهي تسانده أيضا في كل الظروف ،كما ورافق العزف على آلة القنمبري الحالة الاجتماعية والنفسية لشخصيات الرواية ، ثم إن التجمعات والمناسبات المتمثلة في يناير

والتويزة والعقيقة فقد عبّرت عن التعاون والتضامن الإجتماعي ،كما وأبدت البعد الديني لشخصيات الرواية ومنه سكان الجنوب، إضافة إلى ذلك هناك استحضار للمعتقدات والأساطير، مثل زيارة الزوايا و الأضرحة، وأسطورة الغولة، والتي كانت لها دور تربوي وأظهرت مدى تمسك أهل الجنوب بمعتقداتهم وأساطيرهم وكيف أنهم استغلوها بشكل إيجابي، وكذا استحضار الأمثال الشعبية والتي يدور محتواها حول الأخوة والصبر، وهو ما أبرز البعد الديني والفكري للشخصيات.

ملحق

1- تقديم الكاتبة والرواية

1-1- تقديم الكاتبة [1]

جميلة طلباوي جزائرية من مواليد 1969، بولاية بشار في أقصى الجنوب الإفريقي الجزائري، هي مذيعة وكاتبة جزائرية متحصلة على شهادة مهندسة دولة في الميكانيك، للبناء الحراري من جامعة بشار 1995، نشأت في أسره محبة للكتابة وبدأت الإرهاصات الأولى لكتاباتها وهي تلميذة في السنة الأولى متوسط، وكبرت مع هذا الجو الأدبي لكنها اتجهت للعمل في مجال التنشيط فهي منشطة في الإذاعة الجزائرية محطة بشار الجهوية للإذاعة، والكتابة الأدبية والشعر، وصدرت لها عدة أعمال أدبية منها: مجموعتها الشعرية "شظايا" عام 2000، إضافة إلى ثلاث روايات، "الخبية" عام 2014، "وادي المناد" عام 2017، و"قلب الإسباني" عام 2018، كما ونشرت العديد من الأشعار والقصص القصيرة في لصحافة الوطنية العربية مثل الجمهورية الأسبوعية، الخبر، ومجلة كتابات معاصرة لبنان، وجريدة العنوان الدولي سوريا، كما لها أعمال تلفزيونية نظمتها جمعية أحمد رضا حوحو ببشار عام 1990.

1-2- تقديم الرواية

صدرت رواية "قلب الإسباني" عام 2018م عن دار النشر "الوطن اليوم" وقد نالت جائزة يمنية مشاكرة في أحسن عمل روائي باللغة العربية عام وتلفت هذه الرواية إلى حنين العربي فردوسه المفقود الأندلسي، في محاولة للارتكاز على التاريخ لإيجاد إجابات لأسئلة تريك العلاقة بين الشرق والغرب، في عصرنا هذا، كما وقد شرفت الرواية في إيصال رسالة من خلال شخصيات الرواية مفادها حول أهمية الترابط بين الحضارات وعلاقة الأنا مع الآخر المختلف عنه في الجنس

[1] ينظر السيرة الذاتية للكاتبة، موقع ويكيبيديا:
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84%D8%A9_%D8%B7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%8A

والانتماء الديني والفكري والعرفي، يتجلى لنا هذا الدور في العلاقة عبر لقاءات ومحطات تاريخية وثقافية عديدة، كما وأبرزت الكاتبة من خلال الرواية ضرورة التعايش والحوار وجسدت ذلك بطريقة فكرية وحضارية.

وتدور أحداث الرواية حول شخصية عبد النور وأخوه أيوب اللذان كانا يقطنان في صحراء الجزائر إلا أن شخصية عبد النور لم ترضى بالبقاء هنالك فقد قرر عبد النور السفر إلى إسبانيا ليترك وراءه كل ذكرياته الجميلة وعائلته، ليتعرف على أناس جدد ثمّ يقيم عبد النور الذي كان مصابا بمرض في قلبه عملية زرع قلب جديد ذلك القلب الذي كان يدق في جسد رجل إسباني، وتتوالى الأحداث ويلقى عبد النور مشاكل عدّة في إسبانيا ليعود مهزوما ومنكسرا في الأخير إلى موطنه الأصلي، فيجد نفسه وحيدا وسط ذكرياته الجميلة.

قائمة المصادر والمراجع

1- المراجع العربية

1- أحمد علي مرسي،صون التراث الثقافي غير المادي ،أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية -مصر-انموذجا ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،ط1، 2013.

2- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 1500_1830،دار الغرب الاسلامي،بيروت ،ج1،ط1، 1998.

3- إبن منظور،لسان العرب ،دار الكتب العليمة ،ج2،بيروت ،ط1، 1994.

4- جميلة طلباوي، قلب الإسباني، الوطن اليوم، الجزائر، 2018.

5- علي شطي، التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، دار وم1ة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2023.

6- محمد رياض وتار، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، ج1،ط1،القاهرة 1978.

7- سامية حسن الساعاتي، الثقافة الشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي دار النهظة العربية ،ط1،بيروت 1983.

8- محمد رياض وتار ،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 2002.

9- محمد جوهري ،الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ،دار الكتاب للتوزيع ،ج1،ط1،القاهرة ، 1978.

2- المراجع المترجمة

1- غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات ،تر:زعيتر عادل ،هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1،القاهرة ، 2012.

2- مالك بن نبي ،مشكلة الثقافة ،تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،ط4،دمشق ، 2000.

3- المجلات

1- أنوار البخاري، الرقص بين التراث والمعاصرة ،مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية،مجلد2،عدد12،جامعة محمدالاول ،وجدة، 2021.

2- أمينة ابن اباجي،شعيب مقنونيف،الأمثال الشعبية والحكم والأقوال في تلمسان وبعدها الديني ،دراسة انثروبولوجية ،مجلة أنثروبولوجية الأديام، المركز الوطني للبحوث في ماقبل التاريخ ،علم الانسان والتاريخ تلمسان ،جامعة تلمسان ،مجلد 16،عدد2، 2022.

3- العيد بكري ،دور الإعلام الثقافي في الجزائر في التعريف بالتراث المادي واللامادي مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية ،المركز الجامعي الحواس، مجلد 10،عدد2022،3.

4- عايدة سعدي ،الرمز الأسطوري في سياقات أبي الطيب المتنبي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،جامعة محمد الشريف مساعدية ،سوق اهراس ،مجلد 11،عدد1 ،سنة 2022.

5- بن جدو عبر القادر محي الدين الجيلالي ،سيد احمد نقاز ،بوعلينا محمد، الصناعة التقليدية الصحراوية ودروها في نقل الموروث الثقافي، أفكار وآفاق، جامعة لويس ،البليدة ،مجلد 9،عدد4، 2020.

6- بوعافية أحمد، توظيف تراث إقليم الساورة بصحراء الجزائر في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة تطبيقية تحليلية في رواية "الخابية"لجميلة طلباوي أنموذجا، مجلة آفاق علمية ،جامعة الجزائر ،مجلد11،عدد3، 2019.

7- أحمد أسامة ،دراسات أنثروبولوجية لزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين في الجزائر ،ضريح الولي سيدي تاج بولاية المدية أنموجا، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة يحي فارس المدية ،مجلد 4،عدد 4، 2020.

8- حشلاني أحمد، الشاي في الصحراء الجزائرية، المشروب الاكثر شعبية وجمالية، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة طهراوي محمد بشار، جامعة وهران 2، مجلد 15 عدد 4، 2023.

9- خالد خواني مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة الوادي، مجلد 4، عدد3، 2021.

10- جديد حنان، حقوق، الطفل بين الشريعة الاسلامية والقانون الجزائري، مجلة روافد للبحوث العلمية والدراسات، جامعة غرداية، مجلد 6، عدد6، 2019.

11- خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري –التويزة ولوزيعة انموذجا، مجلة أنثروبولوجيا، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، مجلد8،عدد1، 2022.

12- دريسي ثاني سلاف، اللباس التقليدي "الحايك"نموذجا، مجلة أنثروبولوجا ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، مجلد 4،عدد8، 2018.

13- رامي ناصر ،الأمثال الشعبية القروية في التاريخ الريفي "حكمة الأجداد للاحفاد"،مجلة انثروبولوجيا، الجامعة الاسلامية في لبنان،لبنان،مجلد5،عدد2019،10.

14- سليم حاج سعد الله التيجاني نياطة ،التراث المادي واللامادي لقلعة بني راشد وسبل المحتفظة عليه ،مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي ،مجلد 7،عددخاص، 2023.

15- صالح قبوج ،سعيدة رحامنية ،الاسطورة في الموروث الشعبي الجزائري بين القيم التربوية والأبعاد الدينية ،مجلة سيميائيات، جامعة 8ماي 1945،قالمة ،مجلد18 ،عدد2023،2.

16- صحرة شعوية ،خضرة براك ،المؤتلف والمختلف في الفضاء الطقسي ،لاحتفالية يناير بين طقسنة الثياب وحتمية التغير قراءة أنثروبولوحية في الدلالات والوظائف بالمجتمع التبسي ،مجلة الانسانية والعلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة ،مجلد 6،عدد2، 2020.

17- عماد صولة، هوية الطعام وطاعم الهوية، مجلة علوم الانسان والمجتمع، المعهد الوطني للتراث، تونس، عدد2، 2012.

18- عمر علاحمو،أهمية الحفاظ على الخطارات وإمكانية ادماجها في صيرورة البناء الترابي بواحة تودغار (المغرب)،مجلد 1،عدد خاص ، 2019.

19- عبد العزيز الفيلاني، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية ،موقم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002.

20- عبد العزيز الكبار، أشكال التعبير الثقافي في المجتمعات القبلية بالجزائر، الفروسية ولعبة العلاوي عند قبيلة اولاد نهار بمنطقة سيدو تلمسان،أنموذجا ،مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان ،مجلد 6، 2022.

21- عماريش حنان العنف الرمزي ضد المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، مجلة صوتيات، جامعة البليدة، الجزائر، مجلد 20،عدد3، 2018.

22- عايدة سعدي، الرمز الأسطوري في سيقيات أبي الطيب المتنبي ،مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،جامعة محمد الشريف مساعدية ،سوق أهراس ،مجلد 11 عدد1، 2022.

23- فاطمة دجاج ،اللباس والحلي وأدوات الزينة لدى المرأة بمنطقة الأغواط خلال القرن 19م، جامعة الأغواط ،الجزائر، مجلد 6،عدد2022،1.

24- لطرش الطيب ،بن شريك فاطمة مجيدو ،دلالة الحناء في المعتقدات لأهل مدينة الجلفة ،مجلة آفاق للعلوم ،مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر ،جامعة الجلفة ،الجزائر مجلد 6،عدد3، 2021.

25- لطرش عائشة القيم الاجتماعية والأخلاقية في الأمثال الشعبية في الج6،مجلة دراسات معاصرة ،المركز الجامعي تسمسيلت الجزائر ،جامعة عبد الحميد باديس مستغانم ،مجلد 4 عدد 2، 2020.

26- نجمة عليوش ،وضعية الصناعة الثقافية الوطنية (الحرف والصناعات التقليدية أنموذجا)سلسلة الأنوار ،جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة الجزائر مجلد 12 ،عدد1، 2022.

27- نسيمة كريبع تراث الامزاد عند قبائل الاموهاغ ودوره في التنمية السياحية ،مجلة حوليان التراث ،العدد16،الجزائر 2016.

4-الروابط الإلكترونية

1- https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84%D8%A9_%D8%B7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%8A

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....03

مدخل :مفاهيم عامة حول الثقافة 05

الفصل الأول : تمظهرات الثقافة المادية في الرواية.....08

1_المأكولات والمشوربات 14

2_اللباس وأدوات الزينة 23

3_الصناعات اليدوية التقليدية.....29

4_المباني والأماكن.....35

الفصل الثاني : تمظهرات الثقافة اللامادية في الرواية. 40

1_الرقص والموسيقى 40

2_التجمعات والمناسبات.....45

3_المعتقدات والأساطير 50

4_الأمثال الشعبية 54

خاتمة 57

ملحق 60

قائمة المصادر والمراجع 63

فهرس الموضوعات 67